

دُعَاة السُّوْبَرِ مَارَكْتِ
الجُذُورُ الْأَمْرِيكِيَّةُ لِلدُّعَاةِ الْجُدُدِ

دُعَاةُ السُّوْبَرِ مَارَكْت

الجذورُ الأَمْرِيكِيَّةُ للدُّعَاةِ الجَدِيدِ

وانل لطفى

الطبعة الأولى / ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة



دار العين للنشر

٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ.د. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٨/٢٥٣٠٣

I. S. B. N 978 - 977 - 490 - 533 - 9

دُعَاةُ السُّوْبَرِ مَارَكْتِ الْجُذُورُ الْأَمْرِيكِيَّةُ لِلدُّعَاةِ الْجَدِّدِ

وائل لطفى

دار العين للنشر



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

لطفي، وائل

دعاة السوبر ماركت: الجذور الأمريكية للدعاة الجدد/ وائل لطفي.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٩

ص؛ سم.

تدمك: ٩ ٥٣٣ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الإسلام - دعوة

أ- العنوان

٢١٣

رقم الإيداع / ٢٥٣٠٣ / ٢٠١٨

المحتويات

7	مقدمة
13	- لماذا ظَهَرَ الدُّعَاةُ الجُدُدُ؟
23	- ما صبرك إلا بالله
27	- جُذُورُ الظَّاهِرَةِ
35	- الأُسْتَاذُ الإِرْهَابِيُّ
39	- من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج!
83	- دُعَاةٌ وُبروتستانت
93	- كَنَائِسُ الهَوَاءِ
109	- معز مسعود: داعية لا يرغب أن يكون كذلك!
123	- مصطفى حسني.. البحث عن هوية
127	- الإعجازيون
137	- ختام

مقدمة

بَعْدَ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا مِنْ ظُهُورِ الدُّعَاةِ الَّذِينَ سُمِّوا بِالدُّعَاةِ
الْجُدُدِ، بَقِيَ تَسَاوُلَاتٌ عَنْ مُسْتَقْبَلِ هَذَا النَّمَطِ مِنَ الدَّعْوَةِ، وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ
يَتَحَوَّلَ لِحَرَكَةِ إِصْلَاحِ دِينِي حَقِيقِي تَتَجَاوَزُ حَدَاثَةَ الشَّكْلِ لِتَطَوُّرِ الْمَضْمُونِ،
أَمْ أَنَّهُ يَظِلُّ مُجَرَّدَ تَغْيِيرِ شَكْلِيٍّ ذِي أَهْدَافٍ تِجَارِيَّةٍ وَاسْتِهْلَاقِيَّةٍ تَهْدِفُ لَتَحْوِيلِ
الْخِطَابِ الدِّينِيِّ لِمُتَجِّ تِجَارِيٍّ يَتِمُّ تَسْوِيقُهُ وَجَنِيَّ الْعَائِدَاتِ مِنْ وَرَائِهِ؟

ثُمَّ هَلْ الْخِطَابُ الْمُتَعَلِّقُ بِالتَّشْجِيعِ عَلَى الْعَمَلِ وَجَنِيَّ الثَّرَوَاتِ لَدَى
الدُّعَاةِ الْجُدُدِ، هُوَ خِطَابٌ ذُو وَجْهِ إِيْجَابِيٍّ يُمَكِّنُ أَنْ يَلْعَبَ الدَّوْرَ الَّذِي لِعِبَتُهُ
(الْبُرُوتَسْتَانْتِيَّةُ) فِي تَحْقِيقِ التَّرَاكُمِ الرَّأْسِمَالِيِّ وَالتَّشْجِيعِ عَلَى قِيَمَتِي الْعَمَلِ
وَالنَّجَاحِ؟، أَمْ أَنَّهُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا الْعَرَبِيَّةِ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ دَعْوَةً لِلْفَسَادِ وَاجْتِمَاعِ
الْمَالِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ الَّتِي تُشْبِعُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا الَّتِي تَغِيبُ فِيهَا
الْحُوكْمَةُ وَالشَّفَافِيَّةُ، وَسِيَادَةُ الْقَانُونِ.

السُّؤَالُ الْأَهَمُّ فِي هَذَا الْإِطَارِ أَيْضًا.. هَلْ تَحْدُمُ حَرَكَةُ التَّدِينِ الْفَرْدِيِّ
فِكْرَةَ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ، أَمْ تُخَصِّمُ مِنْهَا، وَهَلْ هِيَ تَقْوُدُ لِبْنَاءِ مُجْتَمَعٍ عَصْرِيٍّ

حَدِيثٌ أَمْ تُقَدِّمُ جُمْهُورًا جَاهِزًا لِدُعَاةِ الدَّوْلَةِ الدِّيْنِيَّةِ، وَتَنْشُرُ ثَقَافَةَ سَلَفِيَّةِ اتِّكَالِيَّةَ، غَيْبِيَّةَ، تَلْعَبُ فِيهَا دُرُوسُ هَؤُلَاءِ الدُّعَاةِ دَوْرَ الْمَدْرَسَةِ الْاِبْتِدَائِيَّةِ لِلتَّطَرُّفِ، وَالْمَرْحَلَةِ التَّمْهِيدِيَّةِ لَهُ.

تَمْهِيدٌ تَارِيخِيٌّ:

لَقَدْ ظَهَرَ هَذَا النَّمَطُ مِنَ الدُّعَاةِ الْجُدُدِ فِي بَدَايَاتِ تَسْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، وَكَانَ ظُهُورُهُمْ لَافِتًا حَيْثُ لَمْ يَكُونُوا يَنْتَمُونَ لَدُعَاةِ الْأَزْهَرِ بِتَعْلِيمِهِمْ وَزِيَّهِمِ التَّقْلِيدِيِّ، وَلَا لِدُعَاةِ السَّلَفِيِّينَ الَّذِينَ يَتَمَيِّزُونَ أَيْضًا بِمَظْهَرٍ مُعَيَّنٍ، وَبِخَطَابٍ مَلِيٍّ بِالزَّجْرِ وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى فِكْرَةِ (عَمَلِ الْإِنْسَانِ) كَوَسِيلَةٍ لِنَجَاتِهِ مِنَ النَّارِ، كَانَ الدُّعَاةُ الْجُدُدُ مَهْنِيِّينَ وَأَشْخَاصًا عَادِيَيْنَ اكْتَسَبُوا الثَّقَافَةَ الدِّيْنِيَّةَ مِنْ خِلَالِ دُرُوسِ الْبُيُوتِ وَحَلَقَاتِ الْمَسَاجِدِ، كَانُوا يَرْتَدُونَ زِيًّا يُشَبِّهُ زِيَّ الْجُمْهُورِ الَّذِي يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِلَهْجَتِهِ (الْعَامِيَّةِ الْبَسِيطَةِ) أَوْ اللَّغَةِ الْبَيْضَاءِ، الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْفُصْحَى، وَالْعَامِيَّةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ سِمَةً أُخْرَى تُمَيِّزُهُمْ عَنْ دُعَاةِ الْأَزْهَرِ مِنْ جِهَةٍ، وَعَنْ الدُّعَاةِ السَّلَفِيِّينَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَلَمْ يَدْرِكْ الْكَثِيرُونَ أَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ فِي الزِّيِّ، وَفِي اللَّغَةِ، وَفِي طَبِيعَةِ التَّكْوِينِ كَانَ يَقْرِبُهُمْ مِنْ رِجَالِ دِينٍ يَنْتَمُونَ إِلَى دِينٍ آخَرَ تَمَامًا هُمْ الْوُعَاظُ الْبُرُوتُسْتَانْتُ، الَّذِينَ ظَهَرُوا كَنَتِيجَةِ وَكَصْرَخَةِ احْتِجَاجٍ عَلَى الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ

أطلقها مارتين لوثر عام 1517م، لم يكن التشابه في جوهر الدين بكل تأكيد، لكنه كان تشابهاً في طريقة صياغة الخطاب، وطريقة توصيله، وفي فهم دور الداعية أو رجل الدين وطبيعة علاقته بجمهوره

كان من أهم سمات هؤلاء الدعاة الذين ظهرُوا في التسعينيات أيضاً، أنهم يستهدفون الطبقات الجديدة الصاعدة في مصر، أو الشرائح العليا من الطبقة الوسطى، وقد شبه الداعية عمر عبد الكافي هذه الطبقات بـ (الملأ) القرشي، أو النخبة من قبيلة قريش، وكأنه كان يراهم كفاراً يجب عليه هدايتهم، أما أجهزة الأمن فقد قالت إن استهداف هؤلاء الدعاة لهذه الطبقات كان ضمن خطة سمّتها (خطة اختراق الصفوة) أطلقتها جماعة "الإخوان المسلمين"، وشارك فيها دعاة مختلفون من أعضاء الجماعة، مثل ياسين رشدي، وعمر عبد الكافي في البداية، ثم عمرو خالد وآخرين فيما بعد.

وإذا انتقلنا للظرف الموضوعي سنجد أن هؤلاء الدعاة ظهرُوا في وقت كانت فيه المواجهات بين الدولة والتنظيمات الإرهابية في مرحلتها الأخيرة، قد قدموا أنفسهم للدولة باعتبارهم قادرين على اجتذاب الشباب بعيداً عن دعاوى التكفير العنيفة، وربما يقول قائل إن الظاهرة الإسلامية أعادت إنتاج نفسها مرة أخرى في صورة معتدلة بعد أن فشل الخيار المسلح؛ خصوصاً أن جماعة الإخوان المسلمين كانت هي الحاضنة التي خرج منها الطرفان، الجهاديون من ناحية، والدعاة الجدد من ناحية أخرى.

بشكلٍ أوٍ بآخرٍ كَانَ الْمَنَاخُ مُهَيَّئًا لظُهُورِ هَذَا النَّمَطِ مِنَ الدَّعَاةِ، وَسَاعَدَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَطْرَافًا فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ كَانَتْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَشْجِيعِهِمْ اقْتِنَاعًا بِفَائِدَتِهِمْ، وَسَاعَدَ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّ مَرَاكِزَ مُؤَثَّرَةً فِي الْإِعْلَامِ السُّعُودِي رَأَتْ تَبَنِّي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الدَّعَاةِ الْمُخْتَلَفِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ عَنِ النَّمَطِ الَّذِي رَعَتْهُ الْمَوْسَسَةُ الْوَهَابِيَّةُ التَّقْلِيدِيَّةُ وَصَدَرَ إِلَى مِصْرَ دُعَاةٌ مِثْلُ مُحَمَّدٍ حَسَّانَ، وَمُحَمَّدٍ حَسِينٍ يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلَ الْمَقْدَمِ.. وَغَيْرِهِمْ.

وَإِذَا انْتَقَلْنَا لِلْجُمْهُورِ نَفْسِهِ سَنَجِدُ أَنَّ الطَّبَقَةَ الْوُسْطَى الْمِصْرِيَّةَ ظَلَّتْ مُنْذُ قِيَامِ ثَوْرَةِ 23 يُولْيُو، ثُمَّ هَزِيمَةِ 67 وَوَفَاةِ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ بِلا مَشْرُوعٍ ثَقَافِيٍّ وَلَا سِيَاسِيٍّ حَقِيقِيٍّ، فِي مَرَحَلَةٍ مَا قَبْلَ يُولْيُو كَانَتْ هَذِهِ الطَّبَقَةُ تَصْنَعُ السِّيَاسَةَ وَتُشَارِكُ فِي الْحُكْمِ، وَفِيمَا بَعْدَ يُولْيُو تَبَنَّتْ مَشْرُوعَ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ وَحَلَمَتْ مَعَهُ، لَكِنْ هَزِيمَةُ يُولْيُو لَمْ تَتْرُكْ لِهَذِهِ الطَّبَقَةِ سِوَى الْفَرَاغِ.. وَكَانَ هَذَا أَحَدَ أَسْبَابِ إِقْبَالِ الْمِصْرِيِّينَ عُمُومًا عَلَى اسْتِهْلَاكِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍ، وَإِقْبَالِ الشَّرَائِعِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّبَقَةِ الْوُسْطَى عَلَى اسْتِهْلَاكِ خِطَابِ الدَّعَاةِ الْجُدُّدِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ.

فِي هَذَا الْإِطَارِ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ نَغْفَلَ أَنَّ ثَمَّةَ طَبَقَةٍ جَدِيدَةٍ تَشَكَّلَتْ فِي مِصْرَ مُنْذُ بَدَايَاتِ التَّسْعِينِيَّاتِ، مَعَ سِيَاسَاتِ التَّكْيِيفِ الْهَيْكَلِيِّ، وَحَرْبِ الْحَلِيجِ الْأَوَّلِيِّ، وَاسْتِدْعَاءِ نِظَامِ مُبَارَكٍ لِعَدَدٍ مِنَ الْمُغْتَرِبِينَ وَالْمُسْتَثْمِرِينَ، وَأَبْنَاءِ الْجِيلِ الثَّانِي مِنَ الْأَسْرِ الْقَدِيمَةِ؛ لِيُشْكِلُوا نَوَاةَ مَا عُرِفَ فِيمَا بَعْدُ بِاسْمِ كِبَارِ

رَجَالِ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ كَانَ لَهُوْلَاءِ اعْتِرَاضَاتٌ وَاضِحَةٌ عَلَى مُؤَسَّسَاتِ صِيَاغَةِ
الْوَعْيِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمِصْرِيِّ؛ خُصُوصًا الدِّرَامَا، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا مُعَادِيَةٌ
لِلرَّأْسِمَالِيَّةِ وَلِصُورَةِ رَجَالِ الْأَعْمَالِ، وَفِي ظَنِّي أَنَّ ظُهُورَ دَاعِيَةٍ مِثْلَ عَمْرُو
خَالِدٍ يَدْعُو لِلثَّرْوَةِ، وَلِلْعَمَلِ، وَلِكُلِّ الْقِيَمِ الَّتِي تَبْنَاهَا الْمَذْهَبُ الْبُرْوتِسْتَانِي،
كَانَ مُرْضِيًا، وَمُتَمَاشِيًا مَعَ التَّغْيِيرَاتِ الْجَدِيدَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ؛ خُصُوصًا أَنَّ عَدَدًا
كَبِيرًا مِنْ رَجَالِ الْأَعْمَالِ أَقْدَمَ عَلَى تَبْنِي هَذَا النُّوعِ مِنَ الدُّعَاةِ إِعْلَامِيًّا،
وَمَادِّيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا.

لَقَدْ جَرَتْ فِي النَّهْرِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَرَّتْ ظَاهِرَةُ الدُّعَاةِ الْجُدُودِ بِتَغْيِيرَاتٍ
مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَدْ سَمَحَ لِي الْحِظُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الظَّاهِرَةَ عَلَى بَسَاطِ
الْبَحْثِ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ ظَاهِرَةِ الدُّعَاةِ الْجُدُودِ (2005م)، الَّذِي حَازَ عَلَى جَائِزَةِ
الدَّوْلَةِ التَّشْجِيعِيَّةِ فِي الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ (2008م)، وَيُسَعِدُنِي الْيَوْمَ أَنْ أَقْدِمَ
هَذَا الْعَمَلَ الْجَدِيدَ الَّذِي يَسْتَجْلِي التَّغْيِيرَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الظَّاهِرَةُ،
وَتَأْثِيرَاتِ ثَوَرَتِي يَنَايِرَ 2011م، وَيُونِيُو 2013م عَلَيْهَا، وَيُحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَلَى
أَسْئَلَةٍ عَدِيدَةٍ، أَهْمُّهَا السُّؤَالُ الْمُتَعَلِّقُ بِمُسْتَقْبَلِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ.. وَأَرْجُو أَنْ
يَكُونَ لِي عَلَى هَذَا أَجْرَانُ لَا أَجْرٌ وَاحِدٌ.. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ.

وائل لطفي

الشيخ زايد

18 أغسطس 2018

لماذا ظهر الدعاة الجدد؟

إنَّ كُلَّ ظاهرة لها جذور.. هذه الجذور تمتد تحت الأرض لطبقات وطبقات مختلفة ومتتالية، وبالنسبة للظاهرة التي نحن إزاءها اليوم، فنحن إزاء جذور ممتدة في التاريخ القديم..

لكن من المناسب أن نبدأ بثورة الاتصالات الحديثة، وبالتغيرات التي أحدثتها وسائل الإعلام المختلفة. لقد أدت هذه التغيرات إلى أشياء كثيرة كان من بينها أن يتحول الوعّاظ ورجال الدين إلى نُجوم جماهيريين يملكون التأثير في الملايين، بل المليارات من البشر.. لقد كان ذلك أمراً جديداً بكل تأكيد، وقبل هذه الثورة كان أيُّ رجل دين لا يملك سوى التأثير في المُصلين والمُريدين الذين يراهم ويرونه وجهًا لوجه؛ سواء في الكنيسة، أو في المسجد

أوفي أي دار عبادة أخرى.. وهكذا لا يمكن أن نفهم ظاهرةً مثل (الدعاة الجدد) دون أن نفهم ذلك التأثير السحري للتلفزيون على عشرات المليارات من البشر مُنذُ ظهوره حتى الآن.

لقد ظهرَ التلفزيون عام 1884م عندما اخترع الألماني (بول تبكو) قرصًا ميكانيكيًا بفتحات صغيرة يَمُرُّ من خلالها ضوءٌ مُسلطٌ عَلَيْهَا، ومن خلال العلاقة بَيْنَ الضوءِ والفتحات ظهرتْ الصورةُ التلفزيونيةُ الَّتِي نعرفها جميعًا.

وَرُغِمَ أن التلفزيون ظهرَ كاكشافٍ علمي مُنذُ 1884م؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى أداةٍ تأثيرٍ جماهيري إِلَّا فِي بِدَايَاتِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ، وقد كَانَ إِلَى جَانِبِ عَشْرَاتِ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى أَحَدُ الْإِهْدَاءَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلْعَالَمِ.

لقد كَانَتْ حِقْبَةُ الْخَمْسِينِيَّاتِ هِيَ الْعَصْرَ الذَّهَبِيَّ لِلتِّلِفِزْيُونِ فِي أَمْرِيكََا؛ حَيْثُ تَنَافَسَتْ ثَلَاثُ شَبَكَاتٍ أَمْرِيكِيَّةٍ كَبْرَى هِيَ nbc وcbs وabc عَلَى الْجُمْهُورِ الْأَمْرِيكِيِّ.. وَفِي أَمْرِيكََا كَانَ أَوَّلُ اسْتِخْدَامٍ سِيَاسِيٍّ لِلتِّلِفِزْيُونِ حِينَ أَصْبَحَتْ شَبَكَاتُ التِّلِفِزْيُونِ طَرَفًا فِي الْمَعْرَكَةِ الْإِنْتِخَابِيَّةِ عَامَ 1952م، ثُمَّ حِينَ تَطَوَّرَ الْأَمْرُ لِتَصْبِحَ سَبَبًا فِي انْتِصَارِ جُونِ كِينْدِي عَلَى مَنْافْسِهِ رِيْتشارْدِ نِيكْسُونِ فِي الْإِنْتِخَابَاتِ التَّالِيَةِ.

لكن أهمّ ما فعلته محطات التلفزيون الأمريكي في مجال السياسة لم يكن تغطية الانتخابات الأمريكية.. بل كان اختراع أشهر رجل دين في تاريخ العالم، رجل وصل عدد متابعيه إلى 2.2 بليون شخص، وفاز بجائزة الرجل الأكثر تأثيراً لخمسين عاماً مختلفة ومتتالية خلال حياته التي امتدت لمئة عام من (1918 - 2018م).

إننا لا يمكن أن نفهم قصة صعود الدعاة الجدد في مصر دون أن نتوقف أمام رحلة (بيلي جراهام) الذي كان من دون شك نموذجاً لأشهر الدعاة الجدد في مصر الذين قلده في أشياء كثيرة ومهمة، لكن أهم نقاط التشابه كان في دور الإعلام في صناعة الواعظ أو الداعية؛ سواء في أمريكا أو في مصر..

لقد كان بيلي جراهام مجرد واعظ محلي في كنيسة إحدى المقاطعات البعيدة حتى مُنّصف الأربعينيات حين قاده الحظ لأن يلتقي بعض المحاضرات في مدينة لوس أنجيلوس في ولاية كاليفورنيا؛ حيث شاء الحظ أن يستمع له (وليام هيرست)، أحد بارونات الإعلام في أمريكا.. لقد وجد هيرست في بيلي جراهام ما يبحث عنه.. إنه رجل مؤثر، والأهم أنه معادٍ للشيوعيين.. إن هيرست لم يخف هذا السبب، ولم يتذرع بأسباب أخرى.. لقد قالها صريحة (وجدتُ تطابقاً في آرائنا حول الشيوعية).. الأهم أن هيرست لم ينتظر حتى يلتقي بالواعظ الذي أثار إعجابه، ولم ينتظر أيضاً حتى يلتقي بمديري

مجموعته الإعلامية وينقل لهم رغبته في تلميع بيلى جراهام.. لقد أرسل لهم تليغرافاً يقول فيه (انفخوا بيلى جراهام)! وقد حدث ذلك بالفعل.. سلطت وسائل الإعلام الأضواء على بيلى جراهام ولم تطفئها حتى اليوم..

إننا ونحن نفهم ظاهرة الدعاة الجدد لا يمكن أن نغفل ذلك التشابه في دور وسائل الإعلام في صناعة ظاهرة الدعاة الجدد.. وبالنسبة لأشهر هؤلاء الدعاة وهو عمرو خالد فقد لعب رجل الأعمال السعودي صالح كامل دوراً مشابهاً تماماً للذي لعبه الملياردير الأمريكي وليام هيرست مع بيلى جراهام، فحتى عام 2002م تقريباً كان عمرو خالد داعية محلياً، يلقي الدروس الدينية في بيوت المشاهير والفنانات التائبات والدوائر المعروفة وقتها بدوائر الالتزام الديني، وإلى جانب ذلك كان يلقي درسا أسبوعياً في مسجد الحصري التابع لجمعية دينية تديرها ياسمين الحصري، إحدى الفنانات التائبات.. ورغم النجاح الذي حققه درسه الأسبوعي؛ فإنه كان محدود الأثر، رغم محاولاته الانتشار من خلال الكاسيت المسموع والمصور الذي كانت الشركة المنتجة له توزعها أمام المسجد بحثاً عن فرصة أكبر للزواج.. لكن عمرو خالد انتقل لكي يصبح نجماً جماهيرياً حين قرر المستثمر السعودي صالح كامل - مالك قنوات "اقرأ" الدينية - أن يتبناه، تماماً مثلما فعل وليام هيرست مع بيلى جراهام؛ حيث أصدر الشيخ صالح كامل قراره بأن يصبح الداعية الجديد عمرو خالد مستشاراً دينياً له، وبأن

تنتج له قناة "اقرأ" برنامجاً دينياً بمُسميات مختلفة.. ولا شك أن قرار صالح كامل كان له أبعاد سياسية مختلفة، ربّما كان بعضها متعلقاً بظهور تيار مناوئ للمؤسسة الدينية التقليدية في السعودية، هذا التيار عبّر عن نفسه من خلال رجال أعمال مثل صالح كامل والوليد بن طلال فيما بعد، لقد تبني كلاهما أطيافاً من الدعاة الجدد عبر السنوات التالية، ولا شك أن خطاب عمرو خالد الداعي إلى تكوين الثروة كأحد أشكال التدّين الصحيح كان يلقي هوى لدى رجل أعمال مثل صالح كامل يجمع بين الأفكار الرأسمالية وبين الانتماء للمؤسسة الحاكمة في مملكة تقوم على أساس ديني.

على أن أهمّ ما فعله تبني صالح كامل وعمرو خالد إعلامياً لم يكن فقط تحويله لنجم جماهيري وبسط تأثيره على عشرات الملايين، الذي انعكس في شكل موجات من التدّين الشكلي وارتداء الحجاب بين الفتيات الصغيرات.

الأهم في هذا التبني أنه جعل رجل الأعمال طرفاً مباشراً بين عمرو خالد وسلطات الدولة المصرية.. فحين رأت السلطات المصرية أن تأثير عمرو خالد بات ضاراً، وطلبت منه الامتناع عن الخطابة في مسجد الحصري؛ ألقت له قناة "اقرأ" بالحلّ السحري.. برنامج ديني يقدمه من استوديوهاتها في بيروت. لم يكن عليه سوى أن يركب الطائرة لمدة ساعة، ويظهر ليخاطب الملايين بدلاً من المئات الذين مُنع من مخاطبتهم في أحد مساجد القاهرة. لقد كان هذا الحديث عن سطوة وسائل الإعلام، وعن تأثير النموذج

الأمريكي مُهِمًا لَفَهْم هَذِهِ الظَاهِرَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ مِنْ مُهِمَةٍ لَدَيْنَا..
لَقَدْ كَانَتْ ثَوْرَةُ الْفَضَائِيَّاتِ الَّتِي عَرَفَتْهَا الْقَاهِرَةُ مَعَ بِدَايَاتِ الْأَلْفِيَةِ الْجَدِيدَةِ
أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْحَاسِمَةِ فِي انْتِشَارِ ظَاهِرَةِ الدُّعَاةِ الْجُدُدِ.. لَكِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ
السَّبَبُ الْوَحِيدَ.

التكيف الهيكلي..

لَقَدْ كَانَ عَقْدُ التَّسْعِينِيَّاتِ وَالسِّيَاسَاتِ الْاِقْتِصَادِيَةِ الَّتِي اتَّبَعَتْهَا الْحُكُومَاتُ
الْمِصْرِيَّةَ عَامِلًا مُهِمًا جَدًّا فِي ظَهُورِ هَذَا النَّمَطِ مِنَ الدُّعَاةِ الَّذِينَ عُرِفُوا فِيهَا
بَعْدُ بِاسْمِ الدُّعَاةِ الْجُدُدِ؛ حَيْثُ كَانَ مِنْ نَتَائِجِ حَالَةِ التَّفَاهُومِ الْجَزْئِيِّ بَيْنَ
نِظَامِ مَبَارَكٍ وَجَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ عَوْدَةُ كَوَادِرِ الْإِخْوَانِ الَّذِينَ هَاجَرُوا
عَقَبَ صِدَامِ الْجَمَاعَةِ مَعَ الدَّوْلَةِ فِي السِّتِينِيَّاتِ، كَانَ الَّذِينَ عَادُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ
الرَّغْبَةِ فِي الْاِسْتِمْتَاعِ بِطَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ، وَبَيْنَ الْحِفَاطِ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْاِلْتِزَامِ الدِّينِيِّ
الَّذِي كَانَ أَحَدَ عَوَامِلِ الْوَضْعِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمُمَيِّزِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ.

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْأُمْرُ عَلَى الْعَائِدِينَ مِنَ الْخَلِيجِ الَّذِينَ سَكَنُوا فِي الْأَحْيَاءِ
الْقَدِيمَةِ الرَّاقِيَةِ وَحَوَّلُوا مَسَاجِدَهَا وَنَوَادِيهَا لِمُرَازِكِ الدَّعْوَةِ الْجَدِيدَةِ.

لَكِنْ الْأُمْرُ امْتَدَّ لِيَشْمَلَ قِطَاعَاتٍ كَبِيرَةً مِنْ أَعْضَاءِ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ،
الَّذِينَ انْتَعَشُوا اِقْتِصَادِيًّا فِي سِنَوَاتِ التَّسْعِينِيَّاتِ وَمَا بَعْدَهَا؛ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ

ثُمَّ مَواجِهات كَبيِرة مَعَ الدَّولَة، وَكانَتْ حُرِيَة النِّشاطِ الاِقتِصاديِّ ومَراكِمة الثَّروات مَتاحَة تَمَافًى لِلإِخوانِ كَما كانَتْ مَتاحَة لِلجَمِيعِ...

لَقَد بَدَأَ هَذا التَّغْييرُ فِي الوَضْعِ الاِقتِصاديِّ والاجْتِماعيِّ لِلجَماعَةِ فِي حاجَة إِلى خِطابِ تَربويٍّ ودَعويٍّ مُخْتَلَفٍ عَن ذَلكِ الخِطابِ الَّذي كانَتْ تَنتِجُه أَقسامُ التَّربِيَةِ فِي الجَماعَةِ.. أو بِمَعنى أَصَحَّ هُوَ يَحْتَاجُ لِلتَّطوِيرِ، ذَلكِ أَنَّ الوَضْعَ أَصَبَحَ مُخْتَلَفًا عَن سَنواتِ المِحْنَةِ والمَواجِهةِ الَّتِي مَرَّتْ بِها الجَماعَةُ فِي السَّتينِياتِ، ثُمَّ سَنواتِ الرِّيبَةِ والتَّرقُبِ والعودَةِ والشَّد والجَذبِ فِي السَّبْعينِياتِ.. كانَتْ التَّغْييراتُ فِي الأَوضاعِ الاِقتِصادِيَةِ لِلإِخوانِ أَحَدَ أَبرزِ أَسابِيبِ ظَهورِ الدَّعاةِ الجُدِّدِ بِكلِّ تَأكِيدٍ.

وَلَم يَكُنْ هَذا كُلُّ شَيءٍ.. فإِلى جِانِبِ التَّغْييراتِ داخِلَ جَماعَةِ الإِخوانِ نَفْسُها، كانَتْ هَناكَ تَغْييراتٌ أُخَرى عَبرَتْ عَن نَفْسُها فِي ظَهورِ الطَّبَقَةِ الجَدِيدَةِ مِن رِجالِ الأَعمالِ، وَهي ضَمَت شَرائِحَ مُخْتَلَفَةً مِنَ المِهْنينِ الَّذينَ تَعَلَّموا تَعليمًا جَيِّدًا، وَالجيلِ الثَّانِي والثَّالثُ مِن أَبناءِ الأَسَرِ الرأِسمالِيَةِ القَدِيمَةِ.. وَقَد اِخْتَلَفَ هَؤُلاءِ عَن الجِيلِ الأوَّلِ مِن رِجالِ الأَعمالِ الَّذينَ ظَهِروا فِي أَعقابِ الانْفِتاحِ الاِقتِصاديِّ..

كانَ مِن الواضِحِ لِلغاِيَةِ أَنَّ رِجالَ الأَعمالِ الجُدِّدِ، يَبحِثونَ عَن ظَهِيرِ فِكرِيٍّ، وَكانَتْ خِلاصَةُ رِسالَتِهِم أَنَّهُم أَصحابُ وَجْهَةٍ نَظَرٍ فِي كِيفِيَةِ نَهْضَةِ مِصرَ، وَأَنَّهم أَصحابُ أَفكارٍ وَليسوا مُجَرِّدِ جامِعيِّ ثَرواتٍ وَهَبايِ فُرُصٍ.

عَبَّرَ هَؤُلَاءِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ خِلالِ جَمِيعَاتٍ وَمُؤَسَّسَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَمَا انْخَرَطَ بَعْضُهُمْ فِي النِّشَاطِ السِّيَاسِيِّ، وَكَانَ إِجْمَالِي الْخُطَابِ الَّذِي طَرَحَهُ هَؤُلَاءِ وَقْتَهَا أَنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاهُمُوا فِي التَّنْمِيَةِ بَيْنَمَا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ تَشَوِّهُ صُورَتَهُمْ، وَالْمُسْلَسَلَاتِ الدِّرَامِيَّةِ تُظَهِّرُهُمْ فِي صُورَةٍ رَمُوزٍ لِلشَّرِّ.. وَلَا شَكَّ أَنَّ بَعْضَ مَا اشْتَكَوْا مِنْهُ كَانَ صَحِيحًا.. فَحَتَّى بِدَايَاتِ الْأَلْفِيَةِ الْجَدِيدَةِ كَانَ الْإِنْتِاجُ الدَّارِمِيُّ خَاضِعًا لِسَيْطَرَةِ الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ.. وَكَانَتْ الْأَغْلَبِيَّةُ الْعَظْمَى مِنْ كِبَارِ كُتَّابِ الدِّرَامَا مِنْ أَبْنَاءِ جِيلِ السِّتِينِيَّاتِ.. كَانَ كُتَّابٌ مِثْلُ أَسَامَةِ أَنْوَرِ عَكَاشَةٍ وَمَحْفُوظِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَتَوَلَّوْنَ صِيَاعَةً وَعِيَّ الْمِصْرِيِّينَ تَجَاهَ الْعَالَمِ مِنْ خِلالِ الْمُسْلَسَلَاتِ ذَائِعَةِ الصِّيتِ.

لَمْ يَكُنْ يَنَافِسُهُمْ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى مُخَاطَبَةِ جُمُوعِ الْمِصْرِيِّينَ سِوَى الشَّيْخِ الشُّعْرَاوِيِّ الَّذِي تُوِّفِّيَ مُتَنَصِّفَ الْعَامِ 1998م. وَكَانَ ذَلِكَ تَقْرِيْبًا هُوَ الْعَامُ نَفْسُهُ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ عَمْرُو خَالِدُ نَشَاطَهُ كِدَاعِيَّةٍ (بَدَأَ فِي الْعَامِ 1997م).

بِكُلِّ الْمَقَايِيسِ بَدَأَ خُطَابُ عَمْرُو خَالِدٍ تَجَاهَ الثَّرْوَةِ مُنَاقِضًا تَمَامًا لِتِلْكَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي يَصِيغُهَا كُتَّابُ الدِّرَامَا الْمِصْرِيَّةِ مِنْ أَبْنَاءِ ثَوْرَةِ يُولْيُو، وَلِتِلْكَ الَّتِي يَصِيغُهَا الْمُثَقَّفُونَ الْيَسَارِيُّونَ عَمُومًا.

كَانَ عَمْرُو خَالِدٌ يَرْبِطُ بَيْنَ الْغِنَى وَالْقُدْرَةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَبَيْنَ الثَّرْوَةِ وَأَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا صَالِحًا.. بَدَأَ خُطَابُهُ مُتَأَثِّرًا بِتَحْلِيلِ مَآكْسِ فَيْبِرٍ لِلْأَخْلَاقِ الْبُرُوسْتَانْتِيَّةِ (مَزِيدٌ مِنَ الْعَمَلِ يَعْنِي تَدْيِينَ أَفْضَلَ)، وَبَدَأَ مُلْبِيًا

تمامًا لرغبات الوافدين الجُدد على الساحة في نهاية التسعينيات.

بقليل من التعميم والتبسيط يُمكن القول إن المزاج العام في الإعلام وفي الحياه العامه في مصر ظل ناصرياً حتى بدايه التسعينيات، بعدها ورويداً رويداً بدأ التغيير، وتصادَ المنحنى إلى ذُروته في بداية الألفية الجديدة، وهي الفترة نفسها التي واكبت ظهور الدعاة الجُدد.

ما صبرك إلا بالله

إلى جانب صعود قُوى اجتماعية جديدة؛ سواء من المنتمين لجماعة الإخوان، أو من رجال الأعمال مُعتنقي الأفكار الرأسمالية الواضحة الَّذِينَ يريدون إزاحة رُكام الناصرية لبيدوا عملهم كما ينبغي.. كَانَ هناك توسُّع في افتتاح فروع للبنوك الأجنبية والشركات العابرة للقارات، وتوسعت هذه الشركات في تعيين كثير من الشَّبَاب الحاصلين على تعليم غربي ويريدون فلسفة مَا تُبَرِّرُ حياتهم، وتقول لهم لماذا يقضون ساعات طويلة من أعمارهم وراء المكاتب وأجهزة الكمبيوتر المختلفة، وظَهَرَ عمرو خالد ليقول لهم إن المسألة ليست مراكمة أرباح فقط، لكنهم بعملهم هذا يساهمون في إعلاء شأن الدين، ولم يكن مَا قَدَّمَهُ سوى تعريب للأفكار الرئيسة للبروتستانتية، ورُغِمَ أن هذه

الأفكار في مجملها هي أفكار مفيدة؛ فإنه يُمكن إثارة التساؤل حول ماذا كانت دعوة عمرو خالد هي دعوة للعمل الجاد.. أم دعوة لجمع الثروة بأي طريقة من الطرق المعروفة في مجتمعاتنا العربية.

وإذا نظرنا إلى الضفة الأخرى من النهر فسنجد أن القضية كان لها بُعد آخر.. فتطبيق سياسات التكيف الهيكلي وكل الترتيبات الأخرى كان يستدعي توقف الدولة المصرية عن توظيف الشباب.. بالإضافة إلى عدة آثار اجتماعية أخرى، ولا شك أن خطاب التنمية البشرية الذي قدمه عمرو خالد ممزوجاً بالوعظ الديني كان من شأنه أن يساعد الشباب على تحميل الدولة المسؤولية ويدفعهم لخوض عالم المبادرات الفردية، وقد انتشرت مناهج التنمية البشرية بعد ذلك في المجتمع المصري حتى تحولت إلى ظاهرة جماهيرية شبابية.

مبادرة وقف العنف

إننا لا يمكن أن ننظر إلى ظاهرة الدعاة الجدد دون أن نتذكر مبادرة وقف العنف التي أعلنتها الجماعة الإسلامية في منتصف 1997م؛ حيث وقف أحد المتهمين من قيادات الصف الثاني من الجماعة، أثناء نظر قضية كان مُتهماً فيها بالعنف ليعلن أن جماعته قررت الإقلاع عن العنف.. كانت

المبادرة نتيجة لمراحل كثيرة مرّت بها الجماعة الإسلامية مُنذُ ظهورها في بدايات السبعينيات؛ حيثُ مارستُ العنف بأشكال مُتعدّدة كانَ ذروتها اغتيال رئيس الجمهورية، ثُمَّ الدخول في مَرحلة أقرب لمرحلة الهدنة مع الدّولة، التي انتهت عام 1989م عقب اغتيال المتحدث باسم الجماعة علاء محي الدّين لتمارس الجماعة أنواعاً مختلفة من العنف ضد الأقباط والسائحين والمسؤولين الحكوميين وغيرهم.

لقد كان إعلان الجماعة إيذاناً ببدء عصر جديد من التغير الناعم، ومن الكف عن محاولة الاستيلاء على السُّلطة من قمتها العليا، والانخراط في مرحلة جديدة يبدأ فيها تغيير المجتمع من الأسفل وليس من الأعلى.

جُذُورُ الظَّاهِرَةِ

رُغم تكرر الإشارة إلى عام 1997م كعام التقت فيه عدة عوامل يُمكن الإشارة إليها لمحاولة فهم هذه الظاهرة؛ فإنه لا يمكن تجاهل أن ثمة جذور لهذه الظاهرة، ولكي نفهمها فيجب أن نبحث عن تعريف هؤلاء الدعاة الجدد.. ولعل أفضل تعريف هؤلاء الدعاة الجدد أنهم ليسوا أولئك الدعاة القدماء، وبقول آخر يُمكن القول إنهم دعاة لا ينتمون للمؤسسات الدينية اللتين كانتا موجودتين في مصر، وهما مؤسسة الأزهر، والمؤسسة الدينية السلفية الوهابية

دعاه الأزهر كانوا وقتها موجودين مؤثرين أكثر في وسائل الإعلام؛ حيث كان التلفزيون المصري لا يزال يحتفظ بسطوته على عقول مشاهديه،

والأمر نفسه لإذاعة القرآن الكريم.. ومن خلاهما كَانَ يطل عددٌ من الدعاة والوعاظ الأزهريين.. لكنهم كانوا غالبًا كبارًا في السن، يتحدّثون بلغة تقليدية رتيبة، ويمطون الحروف بطريقة إلقاء معينة، كَانَ حديثهم ينتمي للماضي أكثر مما ينتمي للحاضر، وينتمي لمتون الكتب بأكثر مما ينتمي لتفاصيل الحياة.. لكنهم بكل تأكيد كانوا الأفضل من حيث الرصانة العلمية.. وَكَانَ أخطر نقاط الضعف لديهم أن المؤسّسة الدينيّة الرسمية فقدت ثقة الناس بسبب قربها الزائد من السلطة.

على الجانب الآخر، كانت السلفيّة قد غزت مصر مُنذ بدايات السبعينيات.. كَانَ هناك الدّعوة السلفيّة في الاسكندرية، وَكَانَ هناك الدّعاة الشعبيون الذين انتشروا من خلال الكاسيت وطبقت شهرتهم الآفاق.. وَكَانَ هناك أنصار السّنة، والجمعية الشرعية.. كَانَ السلفيون ينتشرون في الأحياء الشعبية، ومساجد القرى بخطاب مليء بالزجر والتخويف.. وَكَانَ الدّاعيّة الأشهر وقتها محمد حسين يعقوب ينهال على المواطن العادي بالسؤال الزاجر، والمتهم.. (مبتصليش ليه؟).

الدّعاة الجدد لم يكوّنوا هؤلاء ولا أولئك، لم يكوّنوا من أبناء المؤسّسة الدينيّة الرسمية، ولا من أبناء المؤسّسة الوهابية.. كانوا في الأغلب من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين والمتأثرين بأفكارها (مع وجود استثناءات)،

وكانوا أيضًا من الذين تلقوا تعليمًا مدنيًا غير ديني، وكان لهم مهن أخرى بخلاف الوعظ.

كانوا من حيث المظهر أقرب إلى شكل الرعاة البروتستانت، الذين ارتدوا زي الجمهور وتحدثوا بلُغته بدلًا من الزي الكهنوتي الذي كان يرتديه القساوسة الكاثوليك.

كان الأزهر والمؤسسة السلفية في حالتنا هذه يلعبان نفس دور الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية من حيث المسافة التي تفصل رجل الدين عن الجمهور، والزي الخاص الذي يرتديه ويميزه عن بقية الرعية، واللغة الخاصة التي يستخدمها في الصلاة وتختلف عن اللغة التي يستخدمها باقي الشعب، وفي حالتنا هذه لم يكن علماء الأزهر أو دعاة السلفية يستخدمون لغة غير العربية، لكنهم كانوا يستخدمون لغة قديمة لا يتحدثها الشعب في حياته اليومية وربما لا يدرك المقصود منها وقد تدارك دعاة المؤسستين ذلك فيما بعد.

البدايات الأولى

ورُغِمَ أَنْ ظهور عمرو خالد الدَّاعِيَةِ الأشْهَرِ فِي هَذَا الْمَجَالِ كَانَ فِي عام 1997م؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَةَ كَانَ لَهَا جُذُورٌ بَدَأَتْ مِنَ الثَّمَانِيَّاتِ وَأَكَدَتْ نَفْسَهَا مَعَ بَدَايَةِ التَّسْعِينِيَّاتِ.. وَيُمْكِنُنَا بِشَكْلِ مَا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ جِيلٍ مِنَ الدَّعَاةِ الْجُدُدِ سَبَقَ عَمْرُو خَالِدٍ فِي الظُّهُورِ، وَإِنْ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِنَفْسِ قَدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِشَارِ وَالتَّأْثِيرِ فِي الْأَجْيَالِ الْأَصْغَرِ سِنًا.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ دُعَاةَ مِثْلِ يَاسِينَ رَشْدِي وَعَمْرَ عَبْدِ الْكَافِي كَانَا أَقْلَ تَأَثُّرًا بِنَمَطِ الْوَعظِ الْهَرَوْتَسْتَانِيِّ مِنْ عَمْرُو خَالِدٍ، وَإِنَّمَا كَانَا هَجِينًا مِنَ الدَّاعِيَةِ أَوْ الْعَالَمِ التَّقْلِيدِيِّ وَبَيْنَ الدَّعَاةِ الْجُدُدِ.

لَقَدْ كَانَتْ مَعَايِيرُ الدَّعَاةِ الْجُدُدِ تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمَا بِكُلِّ تَأَكِيدٍ وَالشَّيْخُ يَاسِينَ رَشْدِي الَّذِي كَانَ دَاعِيَةً شَهِيرًا فِي تِسْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي مِثْلًا لَمْ يَكُنْ أَزْهَرِيًّا، كَانَ رَجُلَ أَعْمَالٍ سَكَنْدَرِي يَعْمَلُ فِي مَجَالِ اسْتِيرَادِ الْقَمْحِ، وَهُوَ قَبْلُهَا كَانَ قَبْطَانًا بَحْرِيًّا، أَمَّا جُذُورُهُ فَهِيَ عَسْكَرِيَّةٌ؛ حَيْثُ كَانَ ضَابِطًا فِي الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ، خَرَجَ بَعْدَ الْإِشْتِبَاهِ فِي عِلَاقَتِهِ بِجَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي مُنْتَصَفِ سِتِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي.. هَاهُوَ إِذَنْ يَشْبَهُ الدَّعَاةَ الْجُدُدَ فِي كُلِّ

شيء.. لا ينتمي للمؤسسة الأزهرية، وتربطه علاقة ما بالإخوان المسلمين، وله عمل آخر يتعلق بالبينس أو يدور في مداراته، وهو يستقي ثقافته الدينيّة بطريقة الشيخ والمريد، وبَعِيدًا عَنِ الْمُؤَسَّسَةِ الرّسْمِيَّةِ..

ياسين رشدي الَّذِي كَانَ نَجْمًا إعلَامِيًّا حقيقًا قدمته الإعلاميّة كاريما حمزة في برنامجها (الهدى والنور) عام 1991م، وقد لعب هذا البرنامج دورًا كبيرًا في تقديم الدُّعَاة الجُدُد، لعله كَانَ مشابهاً لدور الإعلاميّ أحمد فراج في برنامجه (نور على نور)، الَّذِي قدّم من خلاله الشيخ الشعراوي للمرّة الأولى قَبْلَ ذَلِكَ بسنوات.

ياسين رشدي كَانَ عَلَى علاقة وثيقة بمجموعة الفنانات المعتزلات، اللاتي كن دائماً ظهيراً للدُّعَاة الجُدُد، وقد كَذَّبَ في حواراته الصحفية الشائعات الَّتِي قَالَتْ أَنَّهُ تزوّج من النجمة المعتزلة مديحة كامل وقال إن علاقته بالمعتزلات هي علاقة أخوة.

ياسين رشدي كَانَ أول نموذج للدُّعَاة الجُدُد بملاحظهم الواضحة، كَانَ نَجْمًا يتمتع بالشهرة والثروة ويدير أعمالاً تجارية إلى جانب ممارسته للدعوة.. وقد مكنته كل هذه العوامل من أن يؤسس مسجداً مكيف الهواء هو مسجد المواساة.. وقد كَانَ ذَلِكَ أمراً مُلَفَّتًا ومميزاً للغاية في بدايات التسعينيات وقبل أن تنتشر أجهزة التكييف في بيوت المصريين بالشكل الَّذِي بتنا نعرفه جميعاً.

كَانَ مِنَ اللَّافَتِ أَيْضًا أَنْ يَلْحَقَ يَاسِينَ رَشْدِي فِي مَسْجِدِهِ وَحَدَّةَ لَتَسْجِيلَاتِ الْفِيدْيُو وَالْكَاسِيَتِ تَسْجَلُ دُرُوسَهُ وَتَجْرِي لَهَا عَمَلِيَّاتُ الْمَوْنَتَاجِ الْإِلَازِمَةِ وَتَطْرَحُهَا لِلْبَيْعِ عَلَى الْجُمْهُورِ..

كَانَ ذَلِكَ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ كَشْفًا عَنْ تَأْثَرٍ مَا بَنِمَطُ الْمُبْشِرِينَ وَالْوَعَّازِ الْإِنْجِيلِيِّينَ فِي الْغَرْبِ وَفِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ تَحْدِيدًا؛ حَيْثُ يَتَحَوَّلُ الْوَاعِظُ مِنْ وَاعِظٍ عَادِيٍّ إِلَى نَجْمٍ، وَمِنْ فَرْدٍ إِلَى مُؤَسَّسَةٍ، وَمِنْ رَجُلٍ دِينٍ إِلَى نَجْمٍ مُجْتَمَعٍ، مَعَ تَضَخُّمٍ كَبِيرٍ فِي وَضْعِهِ الْمَادِيِّ أَوْ وَضْعِ مُؤَسَّسَتِهِ، وَتَدْفُقُ كَبِيرٌ لِلتَّبَرَّعَاتِ مِنَ الْجُمَاهِيرِ الَّتِي تَرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْ حُبِّهَا لِلدِّينِ مِنْ خِلَالِ دَعْمِ الْأَنْشِطَةِ الَّتِي يَدْعُمُهَا الدَّاعِيَّةُ أَوْ الْوَاعِظُ.

لَقَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ تَنَامِيًّا فِي مِصْرَ مَعَ ظُهُورِ أَجْيَالٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الدَّعَاةِ، وَانْتِشَارِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَغَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَتَرَاكُمِ الثَّرَوَاتِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَحَالَةِ الْفَرَاغِ الرُّوحِيِّ وَالثَّقَافِيِّ لَدَى الْمَلَائِينَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ خُطَابًا ثَقَافِيًّا يَسْتَهْلِكُونَهُ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَسَاعِدُهُمْ فِي الْإِجَابَةِ عَنْ أَسْئَلَةِ وَجُودِهِمْ سِوَى ذَلِكَ النُّوعِ مِنَ الدَّعَاةِ.

وَإِذَا انْتَقَلْنَا لِدَاعِيَةِ آخِرِ هَؤُلَاءِ عَمَرِ عَبْدِ الْكَافِي سَنَجِدُ أَنَّهُ أَكْثَرُ كَلَّاسِيكِيَّةٍ، وَأَكْثَرُ شُهْرَةً وَتَأْثِيرًا، كَمَا أَنَّهُ أَوْضَحَ بِالْإِرْتِبَاطِ فِي جَمَاعَةِ "الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ" فِي تَجْلِيلِهَا الْأَقْرَبِ لِلسَّلَافِيَّةِ الْمُؤَمَّنَةِ بِفِكْرِ الْحَاكِمِيَّةِ.

وهو من حيث الشكل مستوفى لشروط الدُّعاة الجُدُّد، فهو باحث في علم النباتات، وصاحب شركات خاصّة في مجال استصلاح الأراضي، وهو عضو مُؤكّد في جماعة الإخوان.. دفعته الظروف العامّة التي سبق ذكرها إلى أن يلمع كداعية في منتصف الثمانينيات في مسجد نادي الصيد، وفي مسجد أسد بن الفرات، وفي الأماكن التي صارت تُعرَف فيما بعد أنها مراكز الدّعوة الجديدة في مصر.

وهو كان أكثر تطرّفًا وإعجابًا بفكرة الحاكميّة الإلهيّة، وكان صاحب موقف مُتطرف من الأقباط حتّى أنّه نصّح المُسلمين بأن يتهربوا من تهنة الأقباط في أعيادهم.

وقد لفتت آراؤه المتطرفة أنظار الصحافة ورُبّما الجهات الأمنية فتم الهجوم عليه عام 1994م بمناسبة موقفه من الأقباط، وتم منعه من الخطابه.. وقالتُ تسريبات صحفية أنّه تورط في فضيحة أخلاقية كبيرة من النمط الراسبوتيني.. ولم يكن لجمهور متابعيه أي رد فعل على منعه؛ حيث أثرت الأخبار المتداولة على مصداقيته، وكان من آثار ذلك انسحابه تدريجيًا وظهور عمرو خالد ليحلّ محله في الأماكن نفسها التي كان يخطب فيها، وليخاطب الجمهور نفسه تقريبًا.. وقد عاد الرجل بعد ذلك لتقديم برامج وحلقات في تليفزيونات الخليج العربي، وانتقل للإقامة هناك واستمر في ممارسة نشاطه دون لمعان أو تأثير جماهيري كبير.

لكن الملفت أن الرجل كان على وعي بالدور الذي يقوم به، وقد قال
لمجلة (المجلة) السعودية أنه مُنِعَ مِنَ الخطابة عقاباً له على اختراق طبقة
الصفوة المصريّة وجذبها للمشروع الإسلامي، وقد اختفى الرجل مفسحاً
الساحة للاعب أصغر سنّاً وأكثر قدرة على تجنّب المطبات الشخصية ولم
يكن ذلك اللاعب سوى عمرو خالد.

الأستاذ الإرهابي

في لحظة معينة رأى عمرو خالد أن من مصلحته أن يتبرأ من علاقته بالإخوان المسلمين، كان تبرؤه ساذجاً، وينطوي على قدر من الكذب، لم يقل أنه كان عضواً في الجماعة ثم لم يصبح كذلك.. كان يكاد يقول أنه لم يمر على الجماعة من الأساس.. استفز موقفه أعضاء الجماعة، خرجت أدلة ووثائق كثيرة تريد أن تقول أنه كذاب.. تريد أن تقول أنه انتهازي.. كان من الإخوان واستفاد منهم، ثم غسل يديه حين رأى الجماعة تتجه نحو الأفول.

من بين هذه الأدلة التي أغرقت وسائل التواصل الاجتماعي فيديو قديم يعود لأواخر الثمانينيات يقدم فيه عمرو خالد الدّاعية وجدي غنيم

في أحد المؤتمرات، كان يقدمه كتلميذ له، وكتابع مخلص رُبما..

وجدي غنيم حالة في حد ذاته، مد خط التطرف على استقامته حتى انتهى بتأييد تنظيم داعش.. في بعض حالات الدعاة المنتمين للإخوان كان هناك اختيار التنصل من الجماعة، والتظاهر بالتنصل من أفكارها، والاندماج مع الوضع القائم، والاستفادة من المكاسب الاقتصادية، والاجتماعية الكبيرة.. لسبب ما رُبما يكون نفسياً أو عقلياً سار وجدي غنيم في طريق آخر.

هو إخواني قبل أن يكون داعية.. من أسرة صعيدية هاجرت إلى الإسكندرية وعاشت في حي العوايد حيث يعيش المهاجرون والمهمشون على حواف المدينة التي كانت فيما مضى رمزاً للكوزموليتانية.

كانت سنوات صعوده كداعية هي نفس سنوات صعود الإسلاميين في مصر، ونفس سنوات استيلاء السلفيين على الإسكندرية، تخرّج في تجارة الإسكندرية وبدأ الدعوة عام 76م، كان يخطب في مساجد العوايد، ويقلد الشيخ كشك الذي اعتبره أستاذه، كان أسلوبه ساخرًا، هجائيًا، لاذعًا، وكان ذلك يناسب مستمعين ليسوا واثقين تمامًا من أنهم يسرون في الطريق الصحيح.

تحوّل وجدي غنيم إلى نجم من نجوم الكاسيت في الثمانينيات والتسعينيات وكون ثروة معقولة سمحت له أن ينتقل ليقم في أحد أحياء الإسكندرية

الراقية وإن استمرّ يخطب للبسطاء الذي يلائمهم أسلوبه أكثر.. كَانَ أَقْرَبَ فِي الرُّوحِ إِلَى خُطْبَاءِ السَّلَفِيَّةِ لَكِنَّهُ فِي مَرَحَلَتِهِ الثَّانِيَةِ (فِي التَّسْعِينِيَّاتِ) خَاطَبَ جُمْهُورَ الدُّعَاةِ الْجُدُّدِ، صَارَ يَزُورُ الْقَاهِرَةَ أَكْثَرَ، وَيَتَرَدَّدُ عَلَى مَنَازِلِ الْمَشَاهِيرِ وَالْفَنَانَاتِ، غَزَا مَجْتَمَعَاتِ الدَّقِيِّ وَالْمُهَنْدَسِينَ وَهَنَّاكَ تَأَثَّرَ بِهِ عَمْرُو خَالِدٍ وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ.

وَفِي حِوَارِي مَعَهُ قَالَ عَمْرُو خَالِدٍ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَخْطُئًا فِي تَأَثُّرِهِ بِوَجْدِي غَنِيمٍ، (كَنتَ آرَاهُ وَحَوْلُهُ نَخْبَةُ الْمُجْتَمَعِ وَمَسْمُوحٌ لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ... فَلَمَّا ذَا ابْتَعَدَ عَنْهُ؟).

مَا يَبْدُو مَلْفُتًا فِي مَسِيرَةِ وَجْدِي غَنِيمٍ أَنَّ حِسَّ التَّكْفِيرِي وَالْجِهَادِي فِيهِ انْتَصَرَ عَلَى حِسِّ الدَّاعِيَّةِ الَّذِي يَمِيلُ لِلتَّغْيِيرِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْهَادِيٍّ مِنْ خِلَالِ نَشْرِ التَّدْيِينِ الْفَرْدِيِّ؛ حَيْثُ يُطَبَّقُ الدَّاعِيَّةُ فِكْرَةُ حَسَنِ الْبِنَاءِ مُؤَسَّسَ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَبْدَأُ بِتَغْيِيرِ الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ، الَّذِي يُؤَسِّسُ أَسْرَةً مُسْلِمَةً، وَتَشْكَلُ تِلْكَ الْأَسْرَةُ الْمُسْلِمَةُ مَجْتَمَعًا مُسْلِمًا، وَيُؤَدِّي ذَٰلِكَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى إِعْلَانِ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ أَوْ الْإِسْلَامِيَّةِ.. وَجْدِي غَنِيمٌ الَّذِي حَافِظٌ عَلَى نَشَاطِهِ التَّنْظِيمِيِّ فِي الْجَمَاعَةِ اعْتَقَلَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ. وَأَنْهَى وَجُودَهُ فِي مِصْرَ حِينَ قَرَّرَ السَّفَرَ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ بِنَاءً عَلَى دَعْوَةٍ مِنَ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ، وَبَعْدَ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَغَادِرَ لِأَسْبَابِ أَمْنِيَّةٍ، وَقَدْ ذَهَبَ لِعِدَّةِ دَوْلٍ مُخْتَلِفَةٍ كَانَ يُبْعَدُ مِنْهَا بِسَبَبِ تَطَرُّفِهِ وَعِلَاقَتِهِ بِالتَّنْظِيمَاتِ الْجِهَادِيَّةِ

العالمية، وقد مدّ الخط على استقامته ليحكم عليه بالإعدام في قضية تتعلق بالإرهاب والانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، وصار مع الوقت عنواناً للمواقف الغربية والمتطرفة؛ حيث سجل فيديو يُعلن فيه تأييده لتنظيم داعش مادام يواجه الغرب، بل يتوقع فيه أن ينتصر التنظيم عن الغرب.. ثم سجّل فيديو آخر كفر فيه الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي على خلفية مشاريع قوانين الأحوال الشخصية في تونس، وهو ما أدى إلى أزمة دبلوماسية بين تونس وتركيا التي كان يقيم وقتها على أرضها، وكان له في أثناء ذلك فيديو يهاجم فيه الدعاة الجدد ويتهمهم بأنهم لا يلتزمون بالسّمت الإسلامي، وأنه يضطر لغض البصر حين ينظر لبعضهم - في إشارة لا تخفي على لبيب!

وهو بشكل عام نموذج لداعية تمّاس مع عالم الدّعوة الجديدة في نقطة التقاء قصيرة، غادر بعدها إلى محطة أخرى، وهو من وجهة نظر البعض الصورة الصادقة للدعاة المتتمين للإخوان المسلمين دون كذب أو تقيّة!

من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج!

نحن الآن في عام 2018م.. وقد مرّت عشرون عامًا تقريبًا على ظهور عمرو خالد كداعية.. رحلة طويلة جدًّا.. بدأها كعضو في جماعة الإخوان، ثمّ كتلميذ لوجدي غنيم وريث الشيخ كُشك، ثمّ كداعية يلقي دروسًا في جماهير محدودة في مسجد مغفرة، ويطوّر خطابًا مستوحى من الأخلاق البروتستانتية، خطاب يدعو الناس إلى تكوين الثروة ويُخبرهم أنهم سيصبحون مُسلمين جيدين إذا كوّنوا ثروات كبيرة (1). كان هذا هو موضوع درّسه الأشهر (الشباب والصيف) الذي كان خليطًا يحتوي القليل من الدين والكثير من التنمية البشرية، لم يكن عمرو خالد يُشبهه سابقه، قدّم خطابًا

تحتاجه الطبقات الصاعدة اجتماعيًا في مصر في الوقت الذي بدأ فيه، وقدّم خطابًا متأثرًا بنمط الوعظ البروتستانتي على مستويات عدّة، وكان هذا سِرًّا من أسرار نجاحه.

كَانَ ظهوره في نفس العام الذي أعلن فيه تنظيم الجماعة الإسلامية والجهاد مبادرة وقف العنف، وكان بشكل أو بآخر لنهاية أحلام التغيير الجماعي حتّى ولو لم يُدرِك هو هذا..

تبناه رَجُلُ الأَعْمَالِ السُّعُودِي صالِح كامل وعيّنهُ مستشارًا دينيًا لقنواته، حوَّله من داعية تحلي إلى نجم غير حياة الملايين، وحين بدأ للسلطات المصريّة أن أضرار وجوده باتت أكثر من الفوائد وقررت منعه من الخطابة عام 2004 م ألقى له الشيخ صالح كامل بالعصا السحرية.. أخبره أنّه يستطيع تقديم برنامجه على قناة "اقرأ" من أي مكان في الكرة الأرضية، هكذا كان قرار المنع كأن لم يكن.. نحن نتكلم عن داعية ذي أوجه مُتعدّدة، ومشروع مركب اشترك في تكوينه أطراف عديدة.. جماعة الإخوان ورجال الأعمال المحافظون، والإعلام السُّعُودِي الراغب في مقاومة المؤسّسة الوهابيّة بنموذج أقرب لنمط الوعظ الأمريكي.

نحن أيضًا إزاء محطات عديدة من الانتماء لجماعة الإخوان والتّلمذ على يد دُعاة أعضاء بها أو قريبين منها مثل وجدي غنيم، وممارسة الوعظ في مساجد أصبحت بمثابة مراكز لحركة التّدئين الجديد في مصر، إلى محطة

أخرى هي الانضمام لقناة سعودية دينية هي "اقرأ"، والتأثير في الملايين من خلالها، ثمَّ مرَّحلة ثالثة هي السَّفر إلى لندن ونسج علاقات مع المراكز المهمة بدعم نموذج إسلامي معتدل، مروراً بتأسيس روابط صنّاع الحياة، ثمَّ العودة إلى مصر من بوابة تأييد أحد مرشحي الحزب الوطني الديمقراطي في انتخابات 2010م، هذا التأييد لم يمنع عمرو خالد من أن ينزل إلى ميدان التحرير ليشترك في ثورة يناير 2011م باعتباره من أعداء نظام مبارك، وهذه المشاركة نفسها لم تمنعه من صياغة خطاب مُهادن لسلطة المجلس العسكري الذي تولى حكم البلاد بعد سقوط مبارك، أمّا طموحه السياسي القديم الذي طالما تحدّث عنه معارضوه ونفاه هو فقد عبّر عن نفسه حين ترأس حزباً سياسياً هو حزب مصر، وكل هذا لم يمنعه من تأييد ثوره 30 يونيو التي أبقت في حال أقرب إلى التجميد؛ حيث فقد المراكز الحليفة المؤثرة في بنية السُّلطة، ولم يعد لمؤيديه التقليديين من رجال الأعمال النفوذ نفسه الذي كان لهم في عالم السياسة والإعلام، ولم يعد العصر ينظر بتسامح لأولئك الذين يحاولون اللعب على حبال السياسة المختلفة، أمّا الرأي العام فقد صارت له ألسنة حداد لا تتورع عن إلهاب ظهْر أي داعية إن بدّر منه تصرف يخالف المتوقع منه.

وهكذا وجد عمرو خالد نفسه في مواجهة أزميتين كبيرتين، أولاهما في موسم الحج الموافق عام 2017م حين تورّط في موقف تمثيلي بدا فيه وكأنه

ييكى أمام الكعبة المشرفة، ويطلب من الله الغفران لمتابعي صفحته على موقع الفيس بوك، بدا الموقف تمثيلياً، وفجاً، وساعدت تقنيات الفيديو على إيضاح الاصطناع والتمثيل في المشهد الذي لعب بطولته عمرو خالد، لم يعد أحد على استعداد لابتلاع الخطايا، بدا الرأي العام وقد انضجته الثورات، والتغيرات، والانفتاح على العالم، وبدت وسائل السوشيال ميديا مثل وحش قاس على استعداد أن يتلع شعبية عمرو خالد في لحظات.

الأزمة الثانية كانت أكثر عمقا، تفجرت في شهر رمضان بالعام 2018م، حين ظهر عمرو خالد كبطل لإعلان عن شركة دجاج سعودية، وكانت الكارثة أنه أراد أن يربط الإعلان عن جودة الدجاج بأداء أفضل لصلاة التراويح!.. انهالت حمم وقذائف الإعلام بما لا طاقة له به، بدا الهجوم عنيفا، وقاسيا، وجارحا، وبدا وكأنه يسدد حساب سنوات منحه الناس فيها تقديرا لا يستحقه، أو توقفوا فيها عن نقده باعتباره داعية يتحدث باسم الدين.

بدا الناس مصدومين رغم أنه لم يكن هناك أي شيء جديد على الإطلاق، كان أول ظهور لعمرو خالد على شاشة التلفزيون المصري عام 1999م مرتبطا بالإعلان، ولولا رعاية رجل الأعمال محمد جنيدي الإعلامية لما أتيح لعمرو خالد أن يظهر، وهو خلال رحلته كان قد قدم بضعة إعلانات لمنتجات سعودية منها عطور القرشي، الأهم أن رد الفعل الغاضب كان

حساباً متأخراً على فعل حدث مُنذ عشرين عاماً كاملة وهو تحويل ما هو (رسالي) وهو الدين إلى مُنتج تجاري، يتم بيعه وجني الأرباح من ورائه، وإذا شئنا الدقة فإن هناك متغيرين، أولهما أن الرأي العام صار أكثر نضجاً ووعياً، وثانيهما أن شكل الاستغلال التجاري في هذه المرة كان الأكثر فجاجة.. لكن هذا لا يعني أن عمرو خالد لم يكن ظاهرة تجارية تهدف للربح مُنذ ظهوره، كان الرجل كذلك، وصنّفته مجلة فوربس كأكثر الدعاة دخلاً في عام 2009م، وأعوام أخرى متتالية، وكان ما يجنيه من أرباح متسقاً مع ما يدعو إليه من ضرورة جني الثروة كوسيلة لأن يصبح المسلم مسلماً صالحاً..

في بيت عمرو خالد

وعلى المستوى الشخصي فقد تابع كاتب هذه السطور عمرو خالد مُنذ عام 2002م، وكان لإسهاماته في الكتابة عن ظاهرة الدعاة الجُدد نصيبٌ من التقدير العلمي، وقد رأيت أنه آن الأوان للاستماع لعمرو خالد، وقد احتوى الحوار أسئلة عن المحاور الرئيسة في رحلة عمرو خالد.. علاقته بالإخوان.. علاقته بالغرب.. تأثره بالبروتستانتية.. علاقته بالسياسة.. إلخ.. وقد تم الحوار في بيته في مارس 2018م.. وهذه أهم محاوره:

الإخوان.. غرام وانتقام!

تمهيد: علاقة عمرو خالد بالإخوان علاقة معقدة، فهو بدأ كأحد كوادر الجماعة الطلابية في جامعة القاهرة، كان رئيسًا لاتحاد طلاب كلية التجارة في منتصف الثمانينيات.. وهناك ألقى أول دروس وعظية في حياته، كان أيضًا أحد أعضاء الفريق الانتخابي للمستشار مأمون الهضيبي في دائرة الدقي عام 1987م، وكان تلميذًا مخلصًا للداعية الإخواني وجدي غنيم وقتها، وحين غضب عليه الإخوان إذاعوا له مقطعًا من فيديو قديم يقدم فيه وجدي غنيم لجمهور الحاضرين كما يليق بتلميذ أن يقدم أستاذه.

الأكيد أنه بدأ دوره كداعية وهو عضو في الجماعة، وأن شبابه ساندوه بقوة وكانوا جزءًا من فرق عمله، وجمهوره، ولا شك أنه ترك مسافة بينه وبين الجماعة بحثًا عن مساحة حركة أكبر، لكن العلاقة لم تنقلب لعداء صريح إلا بعد ذلك بسنوات..

حين تحدثت عنه مجلة "روزاليوسف" كظاهرة جماهيرية عام 2002م، ذكرت علاقته بالإخوان المسلمين كدليل على أنه ليس مجرد واعظ اجتماعي للمراهقين كما يقدم نفسه، وكدليل على أن مشروعه الوعظي يصب في النهاية في صالح الجماعة ويخدم فكرة بناء الفرد المسلم (الملتزم دينيًا) كبناء المجتمع المسلم، ثم الدولة المسلمة، كما طالب مؤسس الجماعة حسن البنا أتباعه.

اصطف الإخوان خلف عمرو خالد بدرجات متفاوتة حتى صدمهم في 30 يونيو فكان العداء المعلن..

قابلت عمرو خالد في منزله في شهر مارس 2018م بوساطة من صحفي مصري صديق، وكان الهدف من الحوار هو الحصول على شهادته عن كل ما أثير ضده خلال عشرين عامًا بدءًا من علاقته الملتبسة والمتراوحة بالإخوان، وبالوعظ البروتستانتي، والرغبة في التحول من داعية إلى سياسي، والسعي وراء الثروة الشخصية والمكسب المادي، وتقديمه نفسه للغرب كبديل.. إلخ.. وقد استغرق الحوار وقتًا طويلًا، كما أنه استغرق مني وقتًا طويلًا في التفكير في كيفية معالجته بشكل لا يخل بموضوعية العرض وأمانة النقل في الوقت نفسه الذي لا يتحول إلى منصة دعائية أو لا يتطرق إلى قضايا غير التي يطرحها الكتاب.

(بدا عمرو خالد حين قابلته مهمومًا بالدفاع عن نفسه ضد اتهامات كثيرة طارده بها على مدى عشرين عامًا، وقد بدا دارسًا لهذه الاتهامات والانتقادات التي قيلت في حقه لأقصى درجة.. وقد صمم أن نبدأ حوارنا بمقدمة استرسل فيها في طرح عدّة افكار، وقد بداها بالسؤال (عمرو خالد جاي منين.. جاي من الطبقة الوسطى)... كانت فكرته ببساطة أنه داعية الطبقة الوسطى الذي جاء منها، وأنه ليس داعية الأثرياء ورجال الأعمال..

وأنه ظلّ محافظاً على انتمائه الاجتماعي للطبقة الوسطى رُغم تراكم أرباحه من عمله كداعية ومُقدّم برامج.

في الإطار نفسه كان يهّمه التأكيد على فكرة أنه شخص عصامي وأنه صنع نجاحه بنفسه على مدى هذه السنوات.. (لم يساعدني أحد)! هكذا قال لي.. لأثقف الكرة وأسأله:

حتى جماعة الإخوان لم تساعدك؟ ليجيب: (هناك فرق بين أن تعجبهم ظاهرة عمرو خالد، ويحاولوا الاستفادة منها، وبين أن يتبنوا الظاهرة).. من وجهة نظري الشخصية لم يكن ما قاله عمرو خالد صحيحاً، كان محاولة للتخلص من الإخوان بعد أن احترقت مراكبهم.. لشباب الإخوان شهادات موثقة حول العلاقة العضوية بين الجماعة والداعية وكيف تم تدعيمه على أكثر من مستوى، وهي علاقة استمرت رُغم نفّي عمرو خالد لعلاقته بالإخوان منذ بداية ظهوره، أهمُّ هذه الشهادات كانت شهادة الصحفي المصري عبدالمنعم محمود، وهو من شباب الإخوان الذين تركوا الجماعة على خلفية خلاف حول التعامل مع ثورة يناير.. وقد فصل في شهادته المنشورة على صفحته الشخصية على موقع الفيس بوك، بعد أن خرّج عمرو خالد على شاشة قناة "المحور" في نهاية 2017م لينفي أي علاقة له بالإخوان المسلمين، وكان من أهم ما قاله محمود أن محمد يحيى الأستاذ بكلية الهندسة، وهو لعب في حياة عمرو خالد مزيجاً من دور الرائد الفكري، والمعلم،

والمستشار، د يحيى نفسه هو أحد قيادات قسم التربية في جماعة الإخوان المسلمين، وقد قال عمرو خالد إنه قطع علاقته به فيما بعد يونيو 2013م.. لكن هذا لا يعني أن العلاقة لم تكن موجودة طوال هذه السنوات، رغم أن عمرو خالد ينفي علاقته بالإخوان منذ عام 2002م على الأقل، محمود تحدث أيضًا عن علاقة وثيقة جمعت عمرو خالد بالدكتور عصام الحداد مستشار الرئيس الأسبق محمد مرسي للشئون الخارجية، وبنجله عصام الحداد.. وعن تفاصيل أخرى عن دعم شباب الإخوان للحملات التي كان عمرو خالد يطلقها في برامجه المختلفة، فإذا وضعنا كل هذه المعلومات إلى جوار بعضها البعض وإلى جوار معلومات أخرى عن نشأته الإخوانية في الثمانينيات؛ فإن علينا أن نراجع ما يقوله حول "استفادة" الإخوان منه. أو "استغلالهم" له.

ال(ع) الرابعة..

كان الجلوس مع عمرو خالد إضافة كبيرة بالنسبة لي.. ورغم أن لقائي به لم يحمل مفاجآت.. إذا بدا أداؤه في الحوار تمامًا مثل أدائه في البرامج مُعدّ مسبقًا ومُرتب بعناية.. إلا أنه كشف عن طريقة تفكيره في نفسه بعد عشرين عامًا من احتراف الدعوة.. هو ليس صاحب رسالة.. ولا حتى واعظًا محترفًا.. هو نجم من نجوم هذا المجتمع.. وسيستمر كما يستمر النجوم!

كَانَ يَرُدُّ عَلَى اتِّهَامِهِ بِالتَّلَوُّنِ حَسَبَ الْعَصْرِ، وَبِالتَّحْدِيدِ كَانَ يَرُدُّ عَلَى "اتِّهَامِي" لَهُ بِالتَّلَوْنِ..

(أَنْتِ اتِّهَمْتَنِي بِالتَّلَوْنِ، وَلَكِنْ أَنَا لَمْ أَكْرَمْ فِي أَيِّ عَهْدٍ مِنَ الْعُهُودِ، لَمْ يُكْرَمْنِي أَحَدٌ حَتَّى الْإِخْوَانُ الَّذِينَ تَقُولُ إِنَّهُمْ سَاعَدُونِي.. أَنَا أَظْهَرُ فِي رَمَضَانَ مُنْذُ عَشْرِينَ عَامًا، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّ عَامٍ أَبْحَثُ عَنْ قَنَاةٍ أَظْهَرُ فِيهَا قَبْلَ رَمَضَانَ!

أَنَا عَصَامِي، وَلَدَيَّْ إِصْرَارٌ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، أَنَا مِثْلُ عَصَامِ الْحَضْرِيِّ، وَعَادِلِ إِمَامٍ، وَعَمْرُو دِيَابٍ! لَدَيَّْ إِصْرَارٌ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، لِمَاذَا لَا أَكُونُ رَابِعَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ؟ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ كَانَ لَدَيْهِ مِنَ الْمُرُونَةِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ الْعَصْرِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، أَمْ كُلُّهُمْ كَانَ عِنْدَهَا هَذِهِ الْمُرُونَةُ، عَبْدُ الْحَلِيمِ كَانَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمُرُونَةُ... أَنَا ابْتَعَدْتُ عَنِ الدِّينِ.. وَأَتَحَدَّثُ بِشَكْلِ إِنْسَانِي كَبَنِي آدَمَ عَائِشٍ فِي وَطَنِ).

الداعية والغرب!

العلاقة بالغرب هي الفصل الأكثر حيوية ودراماتيكية في مسيرة هذا الداعية، هو من البداية مان متماساً مع نمط الوعظ الغربي "البروتستانتية"، وفي حوارنا أكد كثيراً أنه لم يكن يقصد، ولم يتعمد.. كَانَ هَذَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ عنصرَ تأثير كبير، وكان أيضاً أحد أسباب النجاح.. وكما يروي لي فَقَدْ سافر للغرب مضطراً؛ حيث تم منعه من الخطابة في مصر في عام 2002م، فسافر إلى بيروت ليبقى هناك حتى حادث اغتيال الحريري في فبراير 2005م؛ حيث اضطر بعدها للسفر إلى لندن.. لكن الحقيقة أن هناك محطة مهمة في علاقته بالغرب سبقت سفره إلى لندن، وهي أزمة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول (ﷺ) التي تفجرت حين نشرت صحيفة "يولانديس بوست" الدنماركية 12 صورةً كاريكاتيرية مسيئة للرسول (ﷺ) ما نتج عنه اعتراضات من المسلمين هناك، لكن الأزمة تفاقمت حين أصرت الجريدة على موقفها وقالت إن النشر من صميم حرية التعبير.. وتتصاعد الأمر أكثر حين أعادت مجموعة من الصحف الأوروبية نشر الرسوم كشكل من أشكال التضامن مع حرية التعبير، لتتصعد الجاليات الإسلامية من احتجاجها ويطوف وفد من مسلمي الدنمارك العالم الإسلامي ليصدر الأزمة إلى الدول الإسلامية، وتتصاعد مشاعر الغضب، ويقود الشيخ يوسف القرضاوي عبر قناة "الجزيرة" حملة تحريض ضد الدنمارك، بينما

تتصاعد مظاهرات في دول إسلامية وعربية مختلفة، كان من أبرز نتائجها حرق سفارتي النرويج والدنمارك في دمشق في 4 فبراير 2006م.

وفي وسط طوفان الغضب المتصاعد، وفي ظل موجات الكراهية التي يُصدرها داعية وعالم ذو تأثير كبير مثل يوسف القرضاوي، يظهر صوت يدعو إلى الحوار كحل للأزمة!، كان هذا الصوت هو صوت عمرو خالد.. الذي لم يكتفِ بإطلاق دعوته.. لكنه اصطحب وفدًا من مريديه الشباب وذهب إلى الدنمارك عقب أسابيع قليلة من حرق سفارة الدنمارك في دمشق ليشارك في مؤتمر للحوار الديني، وكان هذا كافياً لإثارة غضب القرضاوي الذي طلب من "الوعاظ" أن يلزموا حدود مساجدهم، وأن يتركوا الأمور الكبرى لعلماء الأمة كي يقرروا كيف تسير الأمور فيها..

كان هذا أول تمايز لعمرو خالد عن موقف تتخذه جماعة الإخوان.. أو بمعنى أصح موقف يقوده عالم كان عضواً في الجماعة مثل يوسف القرضاوي.. وقد بذل عمرو خالد وقتها جهداً لإرضائه، لكن الأكيد أنه كان بموقفه من أزمة الرسوم المسيئة قد لفت أنظار الغرب بشدة، إن لم يكن قد نال رضاه بشكل كامل.

العودة إلى لندن..

بِحَسَبِ مَا رَوَاهُ لِي عَمْرُو خَالِدٍ فِي حِوَارِنَا فَقَدْ قَضَى عَامًا فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فِي لَنْدُنْ، كَانَ خَرِيْجًا حَدِيْثًا، وَذَهَبَ فِي ضِيَا فِهَةِ عَمٍّ لَهُ لِيَتَدْرَبَ فِي فِرْعَ لِأَحَدِ الْبَنُوْكَ الْعَرَبِيَّةِ، كَانَ عَمُّهُ هَذَا مَدِيْرًا لَهُ.. عَادَ بَعْدَهَا لِيَعْمَلَ مُحَاسِبًا، ثُمَّ يَصْبَحُ دَاعِيَةً.. لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ مَا الَّذِي جَرَى فِي هَذَا الْعَامِ.. لَكِنَّهُ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى لَنْدُنْ، عَامَ 2005م، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ بَعْضَ مَا دَارَ.

ذَهَبَ عَمْرُو خَالِدٌ إِلَى لَنْدُنْ وَقَدْ تَشَكَّلَتْ مَلَامِحُهُ أَمَامَ الْغَرْبِ، هُوَ دَاعِيَةٌ يَدْعُو إِلَى التَّعَايُشِ فِي وَقْتٍ يَدْعُو فِيهِ الْآخَرُونَ إِلَى "الْعَنْفِ"، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ مِنْ خِلَالِ الْمُجْتَمَعِ الْمَدْنِيِّ فِي وَقْتٍ يَدْعُو فِيهِ آخَرُونَ إِلَى "الْجِهَادِ"، بَلْ إِنَّهُ سَجَّلَ نَفْسَهُ كطَالِبٍ فِي جَامِعَةِ "وِيلْز" الْبَرِيْطَانِيَّةِ لِيَدْرُسَ مَوْضُوعَ "الإِسْلَامِ وَالتَّعَايُشِ مَعَ الْغَرْبِ" عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ.. فَهَلْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ لِيَتِمَّ تَبْنِيُّهُ وَمُسَاعَدَتُهُ؟

أَيًّا كَانَ الْأَمْرُ فَقَدْ نَشَرَتْ جَرِيْدَةُ "الصَّنْدَايْ تَايْمِزْ" فِي 30 أْبْرِيْلِ عَامَ 2004م تَقْرِيرًا بِعَنْوَانِ "خَطَطُ بَرِيْطَانِيَا السَّرِيَّةِ لِلْفَوْزِ بِعُقُولِ وَقُلُوبِ الْمُسْلِمِيْنَ".. وَكَانَ التَّقْرِيرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ خُطَّةِ الْمَكْتَبِ السَّادِسِ الْبَرِيْطَانِيِّ لِاسْتِمَالَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الدُّعَاةِ الْمَعْتَدِلِيْنَ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْجَالِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُنَاكَ وَاسْتِمَالَةِ أَبْنَائِهَا بَعِيدًا عَنْ شَبِيْحِ تَنْظِيْمِ الْقَاعِدَةِ، الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ الْأَبْوَابَ بِعَنْفٍ وَقَتَهَا، وَقَدْ سَأَلْتُ عَمْرُو خَالِدَ فِي حِوَارِنَا عَنْ صِحَّةِ مَا نُشَرُّ، فَفَقَى أَنَّهُ تَعَامَلَ مَعَ

مسؤولين أمنيين هناك، وأكد أنه تعامل مع سُفراء ومسؤولين في الخارجية البريطانية، وبحسب تصريحه (عمرو خالد لا يتعامل مع أمنيين، إنها يُمكن أن أتعامل مع سُفراء).. هل يعرف عمرو خالد أن الأمنيين يُمكن أن يوجهوا السُفراء؟! رُبَّما أسَّس عمرو خالد منظمة "رأيت استارت" في لندن.. وقام بعدد من المشروعات الاجتماعية لرعاية أبناء الجاليات الإسلامية هناك، وحصلت منظمته على تمويل من داخل بريطانيا وقامت بمشروعات لمكافحة المخدرات بين أبناء الجالية الإسلامية في بريطانيا، ومشروع آخر لرعاية السيدات المسلمات المطلقات..

لكن هذا التمويل الذي حصلت عليه "رأيت ستارت" لم يكن هو التمويل الضخم الذي أشارت له هيئة الإذاعة البريطانية فيما بعد، ونشرت عنه مجلة "روزاليوسف" وقتها منسوباً للموقع الإلكتروني لهيئة الإذاعة البريطانية.. كان التقرير يتحدث عن إجمالي دعم مُقدم من صندوق "دعم الفرص" في الخارجية البريطانية لروابط "صُنَّاع الحياة" التي أسَّسها عمرو خالد عام 2004م، وهي سلسلة جمعيات تنموية تهدف للعمل الاجتماعي.. تحدَّث التقرير وقتها عن دعم قيمته 47 مليون استرليني لصُنَّاع الحياة.. وقد نشرت "روزاليوسف" الخبر لأول مرَّة في مصر عام 2007م، لكنَّه عاد للحياة مرَّة أخرى عقب ثوره 30 يونيو التي وضعت عمرو خالد تحت منظار النقد والتمحيص، وكان اللاف للنظر أن عدَّة مواقع إلكترونية

عربية أعادت نشر خبر عن تأكيد الخارجية البريطانية للمعلومة، وكان ذلك في 13 يونيو 2017م؛ حيث قال الخبر إن الخارجية البريطانية أكدت المعلومة عقب تقديم استفسار لها بخصوصها.

على أن ردّ فعل عمرو خالد حين سأله عن دقة المعلومة لم يكن بقدر الجدية التي يثيرها اسم "هيئة الإذاعة البريطانية" في الأذهان؛ حيث علّق ضاحكاً (لو كان عندي 47 مليون استرليني لم أكن لأبقى في مصر ثانية واحدة! هذه أول مرّة أعرف أن الـ "بي بي سي" نشرت تقريراً مثل هذا!، أنا يُمكن أن أقاضيه!).. وحينما قلتُ له إنهم نشروا اسم الجهة المانحة بالتفصيل وهي "صندوق دعم الفرص" في الخارجية البريطانية؟ استطرد قائلاً (لو معنا 47 مليوناً لكأنت "صُنّاع الحياة" قد فعلت الكثير، أو كنت "سرقته" وتحولتُ إلى ملياردير)..

النيويورك تايمز تمد يد العون..

كتعبير عن أهميته المتزايدة لدى الغرب، وكتعبير أكيد عن رغبة بعض الدوائر في اختباره كبديل سياسي مُحتمل.. كان أن خصصت جريدة الـ "نيويورك تايمز" مُلحقها الأسبوعي في مايو 2006م للحدث عن عمرو خالد.. ولإعداد المُلحق رافقته الصحفية الأمريكية سامنتا شاييرو لعدة

شُهور خلال 2006م.. وسافرت معه لبلاد مختلفة، وكأنها كانت تُجري "معاينة" على الطبيعة.. كَانَ الوقت قريباً جداً من مارس 2003م؛ حيث أسقطت القوات الأمريكية نظامَ صدام حسين، وتضاربت تصورات مختلفة حول مستقبل النّظم الحاكمة في المنطقة..

سامنتا شابيرو التي كانت وقتها في الثلاثين من عُمرها وضعت نُصَبَ عَيْنِهَا مَا كَتَبَتْهُ مجلة "روز اليوسف" التي كانت أول مَنْ ألقى الضوء على عمرو خالد.. وحين جاءت إلى القاهرة كَانَ أن جرى لقاء بينها وبين المؤلف.. لَمْ يختلف مَا قُلْتَهُ لَهَا عَنْ مَا كَتَبَتْهُ وَلَا عَنْ رَأْيِي فِي "ظَاهِرَةِ عمرو خالد" طوال الوقت، لكن مَا لَفَتْ نظري أنها بدتْ كَطَرْفٍ مُنْحَازٍ وَمَتَحَمِّسٍ.. وقد سجلت في تقريرها الذي نُشِرَ بتاريخ 14 مايو 2006م أنها دافعت عن عمرو خالد أمامي قائلة إنه يحب اليهود- كانت الصحفية يهودية أمريكية- وعندما سألتها عن دليل على محبته لليهود.. قائلة هو قال لي ذلك..

أَيَّ مَا كَانَ الْأَمْرُ فَقَدْ حَسَمْتُ "نيويورك تايمز" أمرها، ونشرت المُلحق بعنوان "مد يد العون لمسلم متطوع".. ولم يكن هَذَا المسلم المتطوع سوى عمرو خالد، وإن كانت الـ"نيويورك تايمز" لَمْ تُحَدِّدْ إِلَى أي شيء كَانَ يتطوع عمرو خالد؟.. كانت الـ"نيويورك تايمز" تطالبُ الغربَ بمساندة عمرو خالد، وكانتْ حِثْيَاتِهَا فِي هَذَا تقولُ إِنَّهُ "قادر على توظيف الاختلاف الداخلي في الإسلام لأغراض معينة".. وكانتْ الحِثْيَةُ الثانية هي "قدرته

من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج!

على إرباك المعتدلين قبل المتطرفين في فهم هويته الحقيقية"، أما الحيشة الثالثة فكانت "قدرته على تجميع الناس حوله بالحديث عن الأخلاق".

أما هدف الدراسة التي أجرتها "شايبرو" فكان توجيه الدعوة لعمرو خالد لإقامة حوار مع الإدارة الأمريكية..

اعتبرت "شايبرو" أن "خالد" يقدم ما يُمكن تسميته بـ "الطبعة الجديدة من الإسلام"، وكان أهم ما توقفت عنده أن دروسه مطعمة بمصطلحات غريبة وبأنه "محبوب بين النساء"، كما أنه قادر على التأثير في "الجيل الثاني" من مسلمي أوروبا.

طافت "شايبرو" في عالم عمرو خالد ودروسه، وجمهوره، وكان أكثر ما أهله لكي تقدمه للإدارة الأمريكية هي "قدرته على الدمج بين الأسلوب الغربي والمعتقد الإسلامي المحافظ"؛ حيث إنه "عندما تستمع له فإنه يتعذر عليك في الغالب أن تقطع إلى أي الجانبين يميل؟".

كان ملحق الـ "نيويورك تايمز" بتفاصيله المختلفة تمهيداً لزيارة يقوم بها عمرو خالد لواشنطن؛ حيث يُقدم نفسه بصورة أفضل، لكن الزيارة لم تتم، ورُبما وجدت هذه الترتيبات من يُفسدها.

لقد انتهى ملحق الـ "نيويورك تايمز" عن عمرو خالد بتصرّيات لمسئول أمريكي لم يذكر اسمه، لكنّه قال إنه يأمل أن يلتقي ممثل للخارجية

الأمريكية بالداعية؛ حَيْثُ إن هناك الكثير مما يريد الأمريكيون أن يقولوه للعالم الإسلامي مِنْ خلاله؛ حَيْثُ "لا مشكلة لنا مع الإسلام المحافظ، ولكن مشكلتنا مع الإرهاب".!

عندما سألتُ عمرو خالد عن تَبَنِّي الـ"نيويورك تايمز"، له كَانَ ما قاله مزيجًا مِنَ الإعجاب الزائد بالذات ومحاولة التملص، إذ قال: (الغرب مولع بِكُلِّ ظاهرة نجاح، ويفرد لها الصفحات، عندما تكون نتائج على الإنترنت أفضل مِنْ أوبرا وينفري.. ماذا تتوقع؟ لا بُدَّ أن يهتموا طبعًا، وليس فقط الـ"نيويورك تايمز"، التايم اختارتني كواحد مِنْ أكثر خمسين شخصية مؤثرة فِي العالم، هُمْ يهتمون لِأَن عمرو خالد مؤثر، الاهتمام كَانَ فِي 2007م لِأَن نجاحي كَانَ مؤثرًا، لو كانوا اهتموا بي فِي عام 2010م قبل الثورة مباشره لَحَقَّ لك أَن تعتقد أَنهم فَكَّرُوا فِي كبديل، لكن لستُ أَنَا الذي يراهن عَلَيْهِ الغرب كبديل، أَنَا لَمْ أعرف الربيع العربي سوى مِنَ التلفزيون، كنتُ فِي "ديفوس" واتصلتُ بِأبي وقال لي لَا تُعلن موقفك إِلَّا لو تدخل الجيش.. وفعلتُ هذا.. هُمْ اهتموا بي جدًّا فِي 2007م.. وربما كانوا يبحثون عن شخص يصلح، واكتشفوا أَني لستُ هَذَا الشخص).

رسائل لمن يهमे الأمر

كَانَ حوارِي مع الدَّاعِيَةِ عمرو خالد مُهِمًّا للغاية، ليس فقط لأنَّ غريزة الصحفي بداخلي تميل إلى التعامل مع مصدر المعلومة بشكل مباشر، وتتقصي ردود الفعل المباشرة على الأسئلة وتقيسها بمقاييس الصدق الإنساني وبمقاييس أخرى قريبة، ولكن لأنه بدا لي من الإنصاف أيضًا أن أستمع لشهادة رَجُلٍ كتبتُ عنه عشرين عامًا متواصلة من وجهة نظري، دون أن تتاح لنا الفرصة أن نتحاور ودون أن تتاح لي الفرصة أن أسمع..

أما الأهمُّ من هذا فهو أن الحوار جاء حاملاً لرسائل، وكاشفاً عن تطورات مرَّ بها عمرو خالد نفسه، في مرَّحلة اعتبرتها أنا مرَّحلة تراجع في شعبيته وانحسار لها..، وكان من ضمن ما لفت نظري أن عمرو خالد تجاوز مرَّحلة التبرُّؤ من الإخوان إلى مرَّحلة العمل والكتابة ضدهم تحت إشراف الشيخ على جمعة مفتي الجمهورية السابق كما قال، وكان من ضمنه تأكيده على أنه ليس فقط بعيداً عن السلفية، ولكنه مُحب للموسيقى، يعشق عبدالحليم حافظ كنموذج، ويعشق فيروز كصوت.. بالإضافة إلى رسائل إلىيَّ أخرى رأيت أنها دالة في توصيف المرحلة التي يمرُّ بها عمرو خالد أحد أبرز نماذج النمط الجديد من الدعوة في مصر.. وفي السطور الحالية أهمُّ ما ورد في الحوار:

عمرو خالد لدِّيَّه في النهاية موهبة منحها له الله، وهي القدرة على

التبسيط، وهو ما لم يكن، وليس موجودًا إلى الآن في الخطاب الديني، هذه القدرة على التبسيط جعلتني أتهم بـ "التسطيح"، وجعلتني أتهم بأنني أقول كلامًا ساذجًا!، لا.. أنا عندي قدرة على التبسيط، اعطني الفكرة المعقدة وأنا أوصلها للولد الذي عمره 17 سنة، أنا أستطيع أن أفعل هذا.

- تجديد الخطاب الديني؟؟ أنا أعرف أوصله للولد الذي عمره 17 سنة، دي (شغلتي)، أو هذه هي النعمة التي منحها لي الله، هذه الموهبة أوجدت حالة من النجومية.. لماذا تحاسبني على النجومية؟ أنا بدأت على مصطبة في مسجد الحصري.. مصطبة بمعنى مصطبة، كانت الحاجة ياسمين جايها.. فين؟ في شوارع بين "الحيتية" والعجوزة، أنا لم أبدأ نجمًا إعلاميًا، أنا لم أبدأ تليفزيونيًا، أنا بدأت من على الرصيف، فعندما تقول أنت أنني وجهت رسالتي للأغنياء فهذا غير صحيح، أنا وجهت رسالتي للطبقة الوسطى، ليس لشيء سوى لأنني أعرف كيف أكلّمها، لأنني منها.

فالرسالة التي قدمتها تفاعل معها أبناء الطبقة الوسطى، لم يتفاعل معها "اللي فوق قوي" ولا "اللي تحت قوي"، كون بقى جاء لي ناس من الطبقة العليا فأصبح الموضوع لافتًا للنظر، فهذا شيء جيد، وليس سيئًا.

لكن "الرسالة" بدأت من أين؟

- بدأت من مسجد في العجوزة، مسجد بسيط جدًا، لا يكفي إلا لمتي

فَرَد، كون أن الناس جاءت بأعداد كبيرة فهذا لأنه كَانَ هناك أسلوب جديد
لعرض الدين، لَمْ يَكُنْ هَذَا الأسلوب موجودًا مِنْ قَبْل، هَذَا الأسلوب هو
الدِّينُ الْمُبْسُط، كل هَذِهِ نَقَطُ كُنْتُ أريد وَضَعَهَا أمامك عَلَى المائدة.

(2)

أنا مظلوم

- من الاتهامات التي طاردتني أيضًا أنني متلون، وأنا لن أرد بأفكار،
ولكن بمعلومات.. قُلْ لي ما هو العهد الذي تم تكريمي فيه؟

أنا عاصرتُ أربعة عهود.. مبارك، ثم المجلس العسكري، ثم مرسي
والإخوان، ثُمَّ الرئيس السيسي... أين الوسام الذي حصلت عليه؟ أين
التكريم في أيِّ عَهْد، أين فَتَحُ الأفاق، حَتَّى فِي عَهْدِ الإخوان الذين قُلْتُ
إنهم ساعدوني، أين قطعة الأرض التي حصلتُ عليها؟ أين المنصب؟ أين
الوسام؟ أنا أول مَنْ أَسَّسَ جمعية خيرية وهي "صُنَاع الحياة"!! (تعليق
المؤلف: يعود تاريخ الْعَمَلِ الخيري فِي مِصر إِلَى قرن ماضٍ عَلَى الأقل)..
ومع ذَلِكَ لَمْ يُكْرَمْنِي.. أنا لَمْ يَتَمِ تكريمي فِي أيِّ عَهْدٍ مِنَ العهود، أنا لَمْ
يَقُلْ لي أَحَدٌ خُذْ هَذِهِ القَنَاة! أَظْهَرِ فِيهَا فِي أيِّ عَهْدٍ مِنَ العهود، أنا أَظْهَرِ فِي
رمضان مُنْذُ عشرين عامًا ومع ذَلِكَ فِي كل عام قَبْلَ رمضان أَبْحَثُ عن
قَنَاة لَأُظْهَرِ فِيهَا!

أنا عصامي ولديّ إصرار على الاستمرار، أنا مثل عصام الحضري، وعادل إمام، وعمرو دياب!، لَدَيّ إصرار على الاستمرار، لماذا لا أكون أنا رابع هؤلاء الثلاثة؟ وكل واحد من هؤلاء كان لديه من المرونة والتعايش مع العصر الذي يعيش فيه، أمّ كلثوم كان عندها هذه المرونة، عبدالحليم كان عنده هذه المرونة، أنا ابتعدت عن الدين، وأتحدث بشكل إنساني، كبني آدم عايش في وطن..

ملحوظة: بدت رغبة عمرو خالد الذي عرفه الناس كداعية ديني في الابتعاد عن الدين فِكْرَة انتهازية تمامًا.. وقفزَ إلى ذهني السؤال: إذا كان عمرو خالد يرغب في الابتعاد عن الدين فلماذا لا يعود إلى عمله كمحاسب؟ أم أن الهدف هو الاستفادة من ثقة الجمهور لأقصى درجة ممكنة؟... يواصل عمرو خالد..

لماذا لم يقل أحد هذا الرجل مُصِرَّ على الاستمرار، أنا عندي خمسة ن عامًا الآن، عندما بدأت أنت تهاجمني في "روزاليوسف"، كنت شابًا غير ناضج، عندي 27 عامًا، أكيد كان عندي أخطاء، أنا لم آت لأقول لك أنا ملاك، أو أنا قديس، أو أنا لا أرى أخطائي..

أنا أكثر شخص قال كلمة "أنا آسف" على الشاشة، وأتحدثك، هات الرموز العامة في مصر وابحث كم واحدًا منهم قال "أنا آسف" على الهواء، أنا أكثر من قال "أنا آسف"، وبلا حرج؛ لأنني واثق من نفسي، ولأنني أخوض تجربة جديدة..

من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج!

هل تنكر أنني خضتُ تجارب جديدة لم يُخضها أحدٌ قبلي؟ فلماذا يُعاب
على أخطائي؟!

لا يجوز أن أقارن الطائرات الحديثة حاليًا بأول طائرة ظهرت، ولا أن
أحسب كمية الأخطاء في أول طائرة..

أنا "اخترعت" فكرة الدعوة بشكلها الجديد، حلوة فكرة "قَوْمُوهُ" وعلى
فكرة محصلتش..

أنا أتيت بأفكار جديدة في العمل الخيري، وأفكار جديدة في الدعوة،
وأفكار جديدة في التعايش، وأتيت بأفكار جديدة في التعامل مع السوشيال
ميديا، أنا أتعامل مع 40 مليونًا كل يوم، أنت تقول إن شعبيتي انتهت، كيف
تكون شعبيتي قد انتهت، و"اليوم السابع" قال في استفتاءه في نهاية 2017م
إن الأول على "تويتر" في مصر عمرو خالد؟، والأكثر متابعة في الـ"فيس
بوك" عمرو خالد، لأنك تتحدث عن أربعين مليون شاب، من العالم العربي
كله، سنّهم من 18 إلى 35 سنة، أنا يتفاعل معي عشرون مليونًا كل أسبوع،
من غير المعقول أن أكون أقول للناس كلامًا فارغًا طوال العشرين عامًا،
لا بُدّ أن عندي فكر، لا يمكن "الهبل" يستمر عشرين سنة..

لا يمكن السطحية تستمر عشرين سنة، كل هذه الأشياء كنتُ أحب
أن أقولها لك من زمان.

موقع ال"بي بي سي" نشر تقريراً قال فيه إنك حصلت على 47 مليون
استرليني كدعم من صندوق دعم الفرص في الخارجية البريطانية لجمعيات
"صناع الحياة" وأنت لم تُكذّب التقرير؟!

- أنا لو عندي 47 مليوناً لا أبقى في مصر (يضحك)، أول مرة أعرف
أن ال"بي بي سي" نشرت تقريراً مثل هذا، أنا ممكن أرفع قضية على ال"بي
بي سي" ..

هم قالوا إنك خصلت عليها من "صندوق دعم الفرص" في
الخارجية البريطانية.. وجود تفاصيل يدعم ما نشره، من أين أعرف أنا
مثلاً صندوق دعم الفرص، هم الذين قالوا..

- لو معنا 47 مليوناً كانت "صناع الحياة" (كسرت الدنيا)، أو كنتُ
سرقتهم وتحولتُ لملياردير، أنا لم أضع في جيبي مليماً منذ بدأت إلا من
برامجي، أنا أذهب لقنوات فضائية كضيف وأرفض تقاضي مقابل مادي،
أذهب لبيوت وأعطي دُرُوساً ولا أتقاضى مقابل ماديّاً، الأمرُ نفسه في
المساجد، نفس الأمرُ نفسه في الجامعات، ولكن كَوْنْتُ ثروتي من برنامج
رمضان، والبرامج التي أقدمها في التلفزيون، وأظن هذا حقي، علماً بأنني
أحيا حياة كريمة جداً، لكن والله ثروتي "نُمن" ما يتخيله الناس، وينطبق
عليّ المثل الذي يَقُول "الصَّيت ولّا الغنا" ..

ولكن مجلة "فوربس" هي التي قالت إنك أغنى داعية في العالم العربي؟

- هناك أشياء لا تستطيع التعامل معها في شبّابك، الحجم الضخم الذي حدث لأنها كانت شيئاً جديداً غير موجود، هناك أشياء لا تستطيع التعامل معها، وهل أرد أم لا؟، الآن أنا أكثر نُضجاً، ولكن الحقيقة أنني أحيا حياة كريمة؛ لأنني أعمل مُنذ عشرين عاماً، لكن أن أحصل على مقابل لدرس أعطيه في منزل فهذا لم يحدث، مرّة كنتُ في إحدى الدول العربية، وطلبتُ مِنّي عائلة استشارة، زوج وزوجة وأبناؤهم، استغرقت ساعتين لأن الخلاف على مسألة مادية، وأنا خارج قال لي الزوج هذه أتعاب الاستشارة، وأعطاني "ظرف" به نقود، فقلتُ له عيب، أنا رَجُل مصري محترم، أنا أعطيتُ استشارة لأنني أحترمكم.. إنما حصل دهشة إنني أكوّن ثروة من البرامج الدينيّة، قالوا ما كل هذه الإعلانات على برنامج ديني، معهم حق، ولكن هذا حقّي.. لم آخذ حق أحد..

- إنما أن يقال إنني حصلتُ على نقود من جهةٍ خارجية فهذا غير صحيح، ولم أحصل على مليم واحد، الأكثر من هذا أنا أفكر عندما "أغير" سيارتي!، قف أمام البيت وشاهد السيارات الموجودة!، إنما أنا أحيا حياة كريمة و"وربنا كارمني" كرمًا كبيرًا فوق ما كنتُ أستحق وأتخيل، لدرجة أن من أكثر ما أفتخر به وأنا "ألفُ" العالم كلمة "مصري".

- أنا اضطرت أترك مصر سنة 2002م لظروف نعرفها جميعاً، فهل سمعتني أشتم في مصر أو النظام المصري.. الأستاذ محمود سعد جاء لبيروت ليصور معي، وجلس أمامي ساعتين وكان لا يزال في الـ "إم بي سي"، وهي قناة غير مصرية، ونحن في لبنان، وهو يسألني، ما الذي حدث في مصر؟، أقول له لم يحدث شيء.. سألني ما المشكلة؟، فقلت له عيب يا أستاذ محمود أن أكون خارج مصر، وأحدث عن مصر، هات لي مقالة تحدثت فيها عن مصر بشكل سيئ، أو حتى عن الرئيس.. أنا كان لدي تفاصيل عن طريقة خروجي من مصر، وأنا لم يخرجني أحد ولكن خرجت برغبتي، وجدت أن الإقامة مستحيلة فخرجت، وأنا كنت مسافراً للبنان، ولكن عندما أغتيل "الحريري" عرفت أنه لا يمكن أن أستمري في الإقامة في بيروت، فسافرت على لندن، وعندما سافرت إلى لندن، ألحقت أبنائي بالمدارس واستقرت، ولكن في 2005م عدت لسبب بسيط وشخصي وهو أنني أريد أن أربي أبنائي هنا، لا أريد لهم أن يكونوا أجانب، لم أكن أريد لهم أن يكونوا فاقد الهوية، وأحب أيضاً التدين المصري الذي لا يؤلّد نفاقاً، والذي لا يُجبر الفتيات على الحجاب بحيث تلح الحجاب عندما تتركب الطائرة..

- لو عدنا لي فستجد أنني حافظت على مذهبي الذي كنت عليه قبل بدء الدعوة، أنا لم أدع أي شيء، أنا ابن الطبقة الوسطى، أنا مصري جداً، وكنت في لندن أسمع "شط إسكندرية" لأنني مولود في الإسكندرية، في لندن

كنت أسمع "شط إسكندرية" لفيروز لأنني أعشق أغاني فيروز وعبدالحليم، هذه هي شخصيتي الحقيقية، وربما تقول لي ولكنك لم تقل هذا في الماضي، وأنا أعترف لك أنه لم يكن لدي من القوة والنضج ما يكفي لأن أواجه وأنا مازلت بمفردي كل أفكار السلفية، والإخوان، حاجات كثيرة كان نفسي أقولها! فرحان الآن عندما أقولها، نعم أنا أسمع عبدالحليم وفيروز، ولا يوجد فيلم أبيض وأسود إلا وشاهدته، هذا جزء من ثقافة الطبقة المتوسطة، وأنا أحب هذا، وأحب تلقائية الدين، وعندما فهمت النبي أكثر وبالذات من حديث د. علي جمعة، لا هو تلقائي جدا، يبكي، وينزل من على المنبر ليحمل أطفاله، ما كل هذه البساطة والتلقائية؟ لماذا عقدتم لنا الأمور؟ لماذا صورتهم لنا نموذجا غير موجود.. أخطاء كثيرة وقعت فيها..

- منها مثلاً برنامج "ونلقى الأحبة" الذي كان بداية شهرتي، قدمت فيه الصحابة بشكل مثالي، لا يوجد فيه غير أن هم ملائكة، وكأنني أقول إن هذا متحف، وإن هؤلاء غير قابلين للتقليد.. لا.. هم بشر، موفّقون من الله، ومرضى عنهم، لكن لديهم أخطاء، لأنهم بشر غير معصومين.. هل كان لدي من النضج وقتها ما يكفي لكي أقدم "ونلقى الأحبة" بهذه الطريقة.. في الحقيقة لا، فهمت هذا فيما بعد، وأستدركه الآن، وأقوله، ليس مجرد أفكار عندي، ولكن كتبتّه ونشرته في كتّيب، أيضًا فكرة الحجاب.. هل الحجاب جزء من الدين؟ طبعًا جزء من الدين.. أنا مؤمن بهذا.. لكن هل نخترل

قضية المرأة في الحجاب؟ لا.. غلط.. أنا أصحح معك مفاهيمي، إنما لو قلت لي هل هو جزء من الدين، أقول لك طبعاً، وهذا كلام الأزهر والإفتاء، والدكتور علي جمعة.. أغضب عندما يُقال إن الحجاب ليس فرضاً، ولكن فريق العمل الخاص معي فيه فتيات غير محجبات، ودروسي يحضرها فتيات غير محجبات، وأكون قاصداً لهذا، وليس لأني أريد أن أجعلن يرتدين الحجاب، ولكن لأني مؤمن أن المرأة في تقديري أكثر نقاءً من الرجل، استعدادها النفسي أعلى، وهي أيضاً أكثر إيجابية، والدليل التفاعل على السوشيال ميديا، أنا مؤمن بالمرأة جداً، فأنا لم أكن نصير المرأة حتى أكسب نجومية، لا أنا اتربيت على هذا، ورأيت زوجة عمي سيدة أعمال ناجحة، أنا "جاي" من هذه الطبقة، رأيت كيف يعامل أبي أمي وكيف يعطيها الأهمية، رأيت أختي وهي تدرس في مدارس فرنسية وتلتحق بوظيفة في بنك كبير، وأختي لم تكن محجبة حتى أصبحت أنا "داعية إسلامي"، أنا لا أتحدث في هذه الأمور، ولكن الحجاب ليس قضية تستخدم، ولا تستخدم لجذب مزيد من الأصوات في الصناديق، لا.. أنت بهذه الطريقة تصل لـ "الأنا" عن طريق الإله، تستخدمها التيارات المتشددة ويستخدمها الإخوان..

- الإسلام دين جميل جداً، وهذا ما يجعلني أستمع عشرين عاماً كداعية؛ لأنني أرى فيه أبسط وأسهل، وأفضل الطرق للتوازن بين المادة والروح، وهو ما نفتقده في العالم الحالي، لو عشنا الإسلام الصحيح أو بين قوسين

(الإسلام المصري).. هذا لا يعني أنني أختزل الإسلام في الإسلام المصري، ولكن صُدِّرَ للعالم عن طريق النقود ألوان أخرى من التدّين لا تُعبر عن حقيقة الإسلام، أنتجت كتبًا، النقود كانت قوية وغيّرت الـ100 سنة مفاهيم، كيف تفكر أن شاب عنده عشرون عامًا أو 35 عامًا يستطيع أن يواجه هذه الأفكار، أمّا الآن فكل أفكارى أقولها، لم أقلها من الأول، قدّر، لأن الشكل الذي ظهرت به كان عجيبًا لهذه التيارات، تعرضتُ لحرب كبيرة لأن براجمي كان بها موسيقى، وغُنا، الآن كل البرامج الدينيّة فيها موسيقى وغناء، أنا كنت أعبر عن حالة، ولم أكن أستطيع أن أقولها مباشرة، أنا أحب عبدالحليم حافظ، وفيروز، ولكن وضعتُ الموسيقى في براجمي، رُغم المشاكل، الإخوان نشروا لي صورة بيدي منديل يتخاصم على خطفه شباب وبنات، المفارقة أن الصورة عائلية، وهؤلاء شباب عائلتي، بنات من عائلتي، لم أرد، أنا من الطبقة الوسطى، ومع ذلك أنا رسالتي دينية.

اعتذار عن السياسة

- أنا أعتذر عن دخول السياسة، كان الأمر أشبه بـ"تسونامي"، كلنا كنا متلخبطين، أتحدّك لو قلت إن هناك مَنْ كان يرى المستقبل أو الرؤية واضحة لديه، مبارك ورجاله في السجن، والذين كانوا في السجن أصبحوا في الحكم، وشوية شباب (عيال) أصبحوا هم قادة مصر، زلزال مخيف أحدث شرخًا، وأنا تأثرت به طبعًا، لخبط أفكارى؟ طبعًا، افتقدت الرؤية؟ طبعًا..

أخطأت بدخول السياسة؟ طبعاً.. هل استفدت من التجربة؟ طبعاً، لأنني عرفت أن السياسة ليست (مقاسي) وأنا لست هذا الشخص، الحمد لله أني اعتذرت، وتراجعت مبكراً.

- أنا لم أكن أفتي، حتى لا أدخل فيما لا أفهمه، أنا من أسرة طيبة، وما أبحث عنه هو التقدير، كنت أقوم بعمل ليس على مقاسي، ولكن لماذا ذهبتُ له؟ خطأ.. ربّما، أو ربّما لأن الشباب كله كان متجهاً للسياسة وأنا أخطب الشباب، اكتشفتُ أن أحداً لا يريد أن يسمع سوى هذه اللّغة، ناس دفعتمني في هذا الاتجاه وهم مخطئون.. ربّما.. ولكن ماذا اكتشفت في النهاية؟ اكتشفتُ أني مثل قصة سيدنا يونس.. ربنا قال له أريدك في هذه المنطقة، فتمرد، وخالف إرادة الله، فربنا وضعه في بطن الحوت، أنا كنتُ في بطن الحوت أثناء الحزب السياسي، فترة ليست طويلة، حوالى سنة، سحبتُ نفسي، وقدمتُ اعتذاراً، أعتقد أني منذ أربع سنوات أعمل عملاً راقياً جداً، اكتمل النضج، تخلّيتُ عن أي مستشار يريد أن يذهب في هذا الطريق، بدأت (عمر و خالد الجزء الثاني)، أقضي ساعات طويلة علمية مع الدكتور علي جمعة.. طويلة، لفهم المدرّسة والتلميذ في المدرّسة بعمق؛ لأنه يجمع بين الحياة، والدين، وهذا غير موجود كثيراً، وهو فاهم للتراث بشكل لم أره وأنا أدعي أني طفْتُ العالم، أفهم منه وأبسط المعلومات، وستين جالس في البيت، أكتب وأقرأ، وأتعلم، وسألت نفسي أين ستتجه؟، فقررتُ أن

أعود للشباب في "السوشيال ميديا"؛ لأني لا أبحث عن الأضواء كما كان البعض يراني.. أنا أريد أن أخطب الشباب وليس أن أظهر في التلفزيون، هذه نقطة تحسب لي، لو أبحث عن النجومية لما استطعت أن أفارق الشاشة، اسأل أي مقدم "توك شو" ماذا يحدث له عندما لا يظهر على الشاشة.. أمّا أنا فلا تفرق معي هذه الأمور، أنا لا أخرج من المنزل إلا كل فترة، وكل عملي من المنزل، ولا عملت مكتب ولا بهرجة، أين مظاهر البهرجة في حياة عمرو خالد؟.. أين الشاليه الذي أملكه في الساحل الشمالي؟.. هل تعرف أين؟ في آخر قرية قبل مرسى مطروح.. قرية فقيرة.. حتى أستطيع أن أستمع مع زوجتي وعائلتي، لا أريد مارينا وهاسيندا.. أنا أريد أن أربي أبنائي بشكل جيد، ولا أظن أنهم سيكونون جيدين لو ذهبوا إلى هناك، أنا أستاجر في الساحل ولا أملك، وأرى أن المتعة في التبسيط، ومنزلي هذا، واسع كما ترى، لأني أريد أن أستضيف الناس، وأن يكون لدي صالون ثقافي، وهذا من أحلامي التي حققتها، وأنا أشرح لك أغواري.

- أعود مرة أخرى للسياسة، أنا جلست في البيت سنتين وأصدرت كتابين "الإيمان والعصر"، و"الأهداف الإنسانية للقرآن"، وهذا كتاب يقاوم أفكار سيد قطب، هل تعرف لماذا يستمر سيد قطب حتى الآن؟ لأنه لم يظهر أحد بحرفية سيد قطب يرد عليه، لأن هو نحّات، ولكن يقول كلاماً خطيراً جداً، هل أنا كنت منبهراً في لحظة من اللحظات بسيد قطب؟ نعم؛

لأنه لم يكن هناك غيره، ولكن متى بدأت أدرك؟، في لحظة من اللحظات وجدت أنه يقول كلامًا خطيرًا.. أمّا أن تأخذ الإسلام كله أو تتركه كله، فهذه بداية سكة التكفير، هو يقول مثلاً (الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول)، ولكن النبي قبل أنصاف الحلول، إلى أين تريد أن تأخذنا، يتحدث في تفسيره للقرآن عن المجتمع الجاهلي.. هذه سكة التكفير، لا أتحدث عن كتاب "معالم في الطريق"، ولكن أتحدث عن تفسير "في ظلال القرآن".

- كتابي الذي يقاومه يدخل من مداخل إنسانية الإسلام، ويقول إن الإسلام دين الإنسانية، يتحدث عن الرحمة والحب والجمال وعدم العنصرية والطائفية، تطلع تقدير المرأة، فكرة الإنسانية، الدين يجب الحياة.

هناك عدّة ملفات عندما يذكر اسم عمرو خالد يتم ذكر هذه الملفات أو الاتهامات، منها مثلاً ما قاله البعض من أنك داعية "بروتستانتية"، بمعنى أنك تأثرت بأسلوب الوعظ البروتستانتية.. ما تعليقك؟

- أقسم بالله أنني لم أرَ واحداً منهم! لا رؤية بالوجه، ولا سماعاً بالأذن، ولا رؤية في تليفزيون. ولا من خلال الإنترنت، لأن وقت أن بدأت لم يكن هناك إنترنت، أنا بدأت كما أنا، سأروي لك قصة عن عبدالحليم حافظ لأنني مُتيم به وأحب أن أسمع كل حواراته، المذيعة أماني ناشد كانت تستضيفه، وسألته وقالت له أنت وعبدالوهاب متهمان بتقليد الموسيقى الغربية.. فقال لها.. أنا جئت وعبرت عن نفسي، وكل الموجودين كانوا يقولون من

هَذَا الَّذِي جَاءَ لِيُفْسِدَ الْغِنَاءَ وَيُبَسِّطَهُ، وَقَالَ لَهَا أَنَا أَحَبُّ الْبَسَاطَةِ، لِذَلِكَ أَنَا فَرَحْتُ جَدًّا بِهَا قَالَهُ..

ولكن سامح موسى راعي كنيسة قصر الدوبارة أكد أنك كنت تستمع له وتقلده؟.

- لا أَنَا لَمْ أَرِ الَّذِينَ فِي الْغَرْبِ، وَلَا الَّذِينَ فِي الشَّرْقِ، أَنَا السَّيِّدُ سَامِحُ مُورِيسَ مَعَ تَقْدِيرِي وَاحْتِرَامِي لَمْ أَرَهُ لَا وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَلَا عَالِي تَلِفِزِيُونِ، لَيْسَ فَقَطْ بَعْدَ سَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ مِنْ بَدَايَتِي لِلدَّعْوَةِ، وَلَكِنْ حَتَّى الْآنَ، وَلَوْ رَأَيْتُهُ كُنْتُ سَأَرْحُبُ بِالْحَوَارِ مَعَهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْدِثْ، وَهَذِهِ مِنَ الْمِغَالَطَاتِ الَّتِي أَحَبُّ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهَا.

ولكنك تأثرتُ بظاهرة الدُّعَاةِ التِّلِفِيزِيُونِيِّينَ، أَوْ كَنَائِسِ الْهَوَاءِ، وَهَذَا التَّأَثُّرُ وَاضِحٌ جَدًّا.

- لِمَاذَا لَا نَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْأَنْبَاطَ الْمُتَشَابِهَةَ ظَهَرَتْ فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ نَتِيجَةُ احْتِيَاجٍ، ثُمَّ افْرَضَ أَنَّنِي رَأَيْتُ وَقَلَدْتُ، لَمْ يَكُنْ لِأَخْجَلِ أَنْ أَقُولَ إِنَّنِي شَاهَدْتُ هَؤُلَاءِ الْوَعَاظَ وَتَأَثَّرْتُ بِهِمْ، النَّبِيُّ اقْتَبَسَ فِكْرَةَ الْخَنْدَقِ مِنَ الْفُرْسِ، لَيْسَ عِنْدِي حَرَجٌ أَنْ أَقُولَ لَكَ اسْتَفَدْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ، لَكِنْ لَمْ يَحْدِثْ، أَنَا جِئْتُ وَعَبَّرْتُ عَنْ نَفْسِي كَمَا أَنَا، بِلِغَتِي، بِشَكْلِي، لَمْ أَفَكِّرْ مَاذَا سَيَقُولُ عَنِّي الشَّيُوخَ، وَلَا مَاذَا سَيَقُولُ عَنِّي الْغَرْبُ؛ لِأَنَّ أَحَدَ أَسْبَابِ

نجاحي التي أقول إنها مستمرة إلى الآن بما أفعله في "السوشيال ميديا"؛ الإصرار على "الرسالة" كما أنت، أحب فيلم طير أنت من أجل الرسالة في نهاية الفيلم، التي تقول لك كُنْ نفسك، أنا ممكن أخدعك شهرين أو ثلاثة، لكن لا يُمكن أخدعك عشرين سنة، أقدر أمثل على مرآتي سنة، لكن لا يُمكن أخدعها عشرين سنة، أحد أسباب إسلام عالم اجتماع أمريكي عندما رأى زوجات النبي يقولوا عليه إيه!! قال مَنْ كَانَ هَذَا سَلُوكِهِ فِي بَيْتِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا.

هناك تفصييلة أخرى خاصة بالدمجك بين الدين ومناهج التنمية البشرية؟

- هذه موجودة عندي، ولكن لم أبدأ بها، هي ظهرت بعد تسع سنوات من بدايتي للعمل في برنامج "صناع الحياة"، لماذا لا تقول إنها تُعبر عن مزيد من النضج، لماذا لا تقول إن عمرو خالد شخصية تعشق التطور، أنا لو كنت جامدًا لما وصلت لما وصلت إليه الآن، التطور جزء من الشخصية، وأنا يحصل لي كل فترة من الزمن مراجعة تفكير، ما الذي قدمْتُ، ما الذي يَجِب أن يصلح؟ يقولوا عليك كذا وكذا.. أكيد هناك أشياء في النقد الذي يوجّه لك صحيحة، مثلاً قلتُ لنفسي لماذا كل كلامك عن المرأة فقط؟ صحيح هناك ثوابت، ولكن هناك أيضًا متغيرات.. عيب الإخوان أنهم لم

يفرّقوا بين الثوابت والمتغيرات، لا يجوز أن يكون العنوان العريض للمرأة هو الحجاب.

- بالنسبة للتنمية البشرية كانت هناك نقطة خطيرة، أين ستذهب هذه الشحنات الدينيّة.. قلتُ بشكل واضح لا بدّ من إيجاد قناة يفرغ فيها الشباب الذين استمعوا للعمرو خالد طاقتهم بعيداً عن التيارات المتطرفة، إذن أنا فقط لم أبداع فكرة جديدة، ولكن قلتُ حلاً، وقلته بشكل رسمي، وقلته أكثر من مرّة إعلامياً، ورسمياً، في موضوع التنمية البشرية لم أقلد الإنجليين، حتّى فكرة التنمية كان الموضوع مصرّياً جدّاً، أنا مؤمن أن الإغراق في المحلية هو طريق العالمية، أنا مغرق في المحلية، أنا أعيش مع الاحتياج، أول تسع سنين كان عليّ أن ألبي الاحتياج الروحي للشباب بشكل مبسط، وبعدها كان هناك احتياج أن يقوم الشباب بأيّ دور بدلاً من أن يذهب في سكة التطرف، فنشأت فكرة "التنمية بالإيمان"، و"صنّاع الحياة"، بالعكس هي فكرة رائعة في أصلها، هل هي تقليد للإنجليين؟ أبداً!، هل تشابهت.. ربّما، هل التشابه إيجابي؟ نعم إيجابي.. والله برافوا عليهم إنهم بيعملوا كده، سيدنا عمر اقتبس فكرة الدواوين من الفرس وهم كانوا أعداء الإسلام.. هل تعرف ما الذي استفدته من الغرب فعلاً؟ فكرة التعايش، ولم أكن أعرفها في مصر، ولم يكن الشعب المصري يعيشها، كنت أحادي التفكير حتّى ذهبتُ للبنان فوجدتُ 18 طائفة، ثمّ ذهبتُ للندن، فكرة التعايش لم

أفهمها أصلاً إلا عندما سافرتُ، ثُمَّ فوجئتُ أنها موجودة في ديننا، فعملتُ الدكتوراه بتاعتي عن الشريعة الإسلامية والتعايش.

هل نعتبر أن الدعاة الجدد ظاهره بدأت معك؟

- نعم؛ لأنني ظهرتُ بشكل جديد ومحتوى جديد، فهي بدأت معي طبعاً، ولكن أنا لم أظهر بمحتوى جديد؛ لأن من أين سأتي بمحتوى جديد؟

- أحد أسباب نجاحي الإصرار على "الرسالة"، كما هي، أحب جداً فيلم "طير أنت"؛ لأنه يقول "كُنْ نفسك".

ما تفسيرك لظاهرة الدعاة الجدد؟ وهل بدأت معك؟

- طبعاً بدأت معي، أنا ظهرتُ بأسلوب جديد، بفكرة جديدة، بعرض جديد، ولكن ليس بمحتوى جديد؛ لأن من أين سأتي بالجديد، ما أقوله وليد إمّا التجارب والخبرات أو الكتب، ونحن قلنا إن هناك من أنفق مليارات على كتب بعينها، لكن أنا لم أكن سلفياً، ولم أعبر عن الفكر الإخواني، إذا كنتُ تقصد بالتجديد الشكل.. فطبعاً الشكل كان جديداً، وكان هناك تجديد في الفكر والتوجهات، كنت أقول لا يوجد جديد بين حياتك المعاصرة وبين توجهاتك، تستطيع أن تعيش حياتك المعاصرة وتكون متديناً في الوقت نفسه، وهذه كانت أحد أسباب النجاح؛ لأنه كان هناك تعطش روحاني لم يخدم، لأن المطروح كان من السلفيين والإخوان.. أمّا أن تكون متديناً

من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج!

أو تعيش حياتك؛ فكان الرّد.. أعيش حياتي، فجاء عمرو خالد وقال
تستطيع أنك تعمل الاتنين سوا، وقدّم نفسه بهذه الطريقة، وكنت أَلعب
الكرة، وأذهب للمطاعم، وأسمع أغاني.

الملف الثالث هو الثروة.. أنت ظهرت مع بداية ظهور طبقة جديدة
في مصر.. وكنت تُشجع الناس على أن يَكُونُوا ثروات، وتقول إن المسلم
الغني أفضل عند الله من المسلم الفقير..

- أنا كنت أقول هذا الكلام حتّى الأسبوع الماضي، نحن أمة تعاني من
الفقر، حتّى متى يظل رجال الدّين يدغدغون مشاعر الفقراء، بالكلام
عن أن الرسول كان فقيرًا؟.. كلام الزّهد قيل في وقت كانت الأمة فيه
غنية، والأموال متوافرة، فكان لا بُدّ أن تبحث عن أشياء تقلل من حدة
الاستهلاك، إنما الآن أنت أمة لا تجد القوت.. ورجال الدّين يقولون الفقر
جميل، فنبقى فقراء هكذا كان رسول الله.. أي إطار فكريّ هذا؟

عندما يظهر الرئيس السيسي ويقول المصريون أغنياء.. هل هذا أفضل
أم عندما نقول فلتتمتع بفقركنا؟.. الفقر ليس عيبًا، لكن التحوّل من الفقر
إلى امتلاك المال طموح واجب.. لماذا ستزايد على بعض؟ أليس الرسول
هو الذي قال (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقير)..

الخوف أن يؤدي خطابك لأن يحاول الناس الكسب بأي طريقة؟

- أنا قلتُ حديث (ما نبتَ من حرام فالنار أولى به)، أنا كنت أدعو لثقافة العرق، وطرق الأبواب؛ لأن الفقر يجلب معاصي أكبر من الفقر، ديننا هو الذي قال (نعم المال الصالح للرجل الصالح)، بمعنى ياريت الصالحين يكون معاهم فلوس، أليس الفقر هو الذي أتى بالعشوائيات وزنى المحارم وبالتالي أتى بالإلحاد، أليس الفقر هو الذي جعل جزءاً من المتطرفين يكره الحياة ويتمنى الموت، أليس عليّ بن أبي طالب هو الذي قال لو كان الفقر رجلاً لقتلته، ألم يكن الرئيس السادات يستدل دائماً بهذه الكلمة لعلّي بن أبي طالب، هل الدعوة للغني أصبحت تهمة؟!

- تفسيراتها السيئة هي التي أصبحت تهمة، الفقير سيقول لك ليس لي ذنب أني فقير.. شجّعني أو علمني..

- أبو حامد الغزالي يقول لك كيف تتغير الصفات في البشر؟ يقولك أي صفة تريد تغييرها الزم عكسها، لو أنت بخيل.. انفق بسخاء حتى لو هيتنصب عليك لمدة ستة أشهر، حتى تتمكن الصفة منك ثم توازن.. تفاجأ أن علماء النفس يقولون لك أي إنسان يلتزم صفة لمدة ستة أشهر ترسخ فيه، لماذا لا تقول إن عمرو خالد كان يفكر بهذه الطريقة.. لا يقلل من الفقراء أبداً، ولكن يدفع حافز الغنى من الجانب الديني ليتحرك الناس نحو العمل والإنتاج.. أنا صاحب فكر ووجدتُ أمة فقيرة، هل أرضى بالسلام الخلفية والعالم كله يصعد من السلام الأمامية حتى نكون مسلمين جيدين،

هَلْ يجوز أن يعيش الناس على فِكْرَة أن الرسول كَانَ يضع حجرًا على بطنه من شدة الجوع؟ هَذَا كَانَ يوم معركة.. هَلْ يعقل أن نحول يوم معركة إلى مَثَل.. دائم، خَرَجَ الرسول من بيته جائعًا.. فلقي أبا بكر فقال مَا أخرجك قال الجوع، فلقيَا عمر فقالا مَا أخرجك فقال الجوع.. هَذِهِ القصة يضرب بها المثل على أنهم كانوا جائعين، ولكن في الحقيقة لَا هو يُشبه من قَالَتْ له زوجته إن المنزل خَالٍ مِنَ الطعام فخرَجَ يبحث عن مطعم يأكل فيه، هَذَا على سبيل المثال، فقالوا فلنبحث عن فلان لنأكل عنده.. ففلان هَذَا ذبح لهم شاه وشوَّاه.. إذن لَمْ يكن يوجد فقر.. كَوْنِي ذهبتُ في الاتجاه الآخر لهزَّ هَذِهِ القناعات ليس عيبًا، ولا أزال حتَّى الآن أقول إن النبي كَانَ غنيًّا وليس فقيرًا، وهَذِهِ مِنَ الأفكار القديمة الجديدة، لَمْ أتبرأ من هَذِهِ الفكرة، وأراها مِنَ الثوابت الضرورية للأمة.. ممكن أن ترى مَثَلًا أنها تحتاج لأن توزن بكلمتين، كلمة (من حلال) وأنا قُلْتُها وكلمة (لا بُدَّ أن نحترم الفقراء)، وهَذِهِ نسيْتُ أن أقولها وأنا أتحدث معك بمنتهى الشفافية..

الملف الرابع هو علاقتك مع الإخوان.. الناس ترى أنك عضو في الإخوان.. كنتُ تعمل بالاتفاق معهم لتغيير المُجْتَمَع وتنقِذ فِكْرَة حسن البناء حول إعداد الفرد المسلم، ثُمَّ الأسرة المسلمة، ثم المُجْتَمَع المسلم، وبالتالي تركوك تعمل ودعَموك، والخلاف لَمْ يحدث إِلَّا متأخرًا جدًّا عقب يونيو 2013م.. وبالتالي أنتَ كنتَ تخدع الناس كل هَذَا الوقت وتقول لستُ أخوانًا وأنتَ منهم.

- خيلينا ناخذ التاريخ.. عمرو خالد شاب يحب الدين جدًّا، ولا يزال.. دخل الجامعة سنَّة 84.. طلع من الجامعة سنَّة 88.. مين موجود في الجامعة في هذا التوقيت.. يصعب شاب متدين يدخل المسجد في هذا التوقيت ولا يجد الإخوان.. هذا كان في حكم الرئيس مبارك، وهو لم يكن عنده اختيار أن يواجه الإخوان مواجهة حقيقية، ولكن كانت عملية (لعب) مع الإخوان.. تؤدي إلى أنك في وقت من الأوقات تجد وجدي غنيم داخل الجامعة.. تنبهر أم لا؟ وكان وجدي غنيم وقتها يدخل بيوت المشاهير، ويعطي دروسًا في بيوت المشاهير.. ولا يزالون مشاهير إلى اليوم.. رموز إعلامية ورموز في الدولة.. دمه خفيف جدًّا، ولم يكن بهذا الجنون والتطرف، رغم وجود بوادر في سخريته الحادة، الناس وقتها كانت تتعامل أنه فنان مضحك ويأتي باللمحة الدينيَّة وهو شخصية ساخرة.. ما الذي تتوقعه مني؟

المفروض الدولة هي التي تؤاخذ على هذا، ليس الشباب، هل تؤاخذ الشباب أنه تأثر بفكر كان مفتوحًا له أبواب الجامعة، هل تحاسبني على أنني ظهرت في فيديو.. من الذي لا يتطور؟

ثانيًا.. عندما خرجت من الجامعة تفاعلت مع هذا الفكر، ولكن أبي أرسلني لأعمل مع عمي في البنك العربي الإفريقي في لندن، فسافرت أعمل في بنك، وهذه كانت نقطة تحول كبيرة في حب الحياة، ولم أقم كثيرًا، فقط لمدة عام، وكنت أعيش معه في منزله، عندما عدت بدأت رسالة عمرو خالد،

ولا كلمة في علاقتي بالإخوان، لأنني فارس نبيل، لا أخدع المجتمع... وقتها عمرو خالد كان يرى العلاقة بين الدولة والإخوان تسير بطريقة جيدة، لكن هو لم يكن قد أدرك الأخطاء في فكر "الإخوان المسلمين"، ولكن مع الوقت بدأ يدرك أشياء خطيرة جدًا.. مثلاً كل الكتب التي ظهرت في المئة سنة الأخيرة كانت تقول إن الرسول أسس تنظيمًا سرّيًا وكان يلتقي بأعضائه في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وعمرو يجب أن يدرس ويقرأ.. فاكشفتُ مثلاً أن دار الأرقم بن أبي الأرقم بينها وبين الكعبة 300 متر.. عند جبل الصفا.. هذه ليست معلومة عادية.. هما كانوا خمسين.. لو تقابلوا لمدة عشر سنوات لا بُدَّ أن تعرف قريش.. قلت هذا كذب وافتراء، وحذرتُ الشباب من الانضمام لتنظيم سرّي تأثرًا بالرسول، قلتُ الرسول لم يؤسس تنظيمًا سرّيًا، وأنا في الجامعة لم يقل أحد لي مثل هذه العبارة.. كثيرون هاجموني وقالوا لي أنت تلونت وتقول كلامًا ضد الإخوان.. أنا أقول لا.. عندي رسالة لا بُدَّ أن أؤديها..

الفكرة الثانية.. دُعيتُ للفاعلية الرحيمة عكس المظلومية، عندما ذهبت لعبد السلام المحجوب قالوا ده تلون، لماذا لم تقل إنني كنت أقول صراحة أنا ضد الإخوان.. وقتها هاجموني بشده منذ 2005م، عندما ذهبتُ للدنارك، في الدنارك قلت سأذهب بوفد من الشباب لهنالك، الذي نصحني بالفكرة بطرس غلّ، والذي افتتح المؤتمر الصحفي الشيخ علي جمعة، والذي هاجمني

على شاشة الجزيرة هو القرضاوي الذي قال نريد أن نؤجج الغضب ويريد أن يُطفئه.. وقال شوية الوعّاظ يقعدوا في المساجد ولا يتحدثوا في شأن الأمة، ومن يومها لم أدخل قطر، ووقتها كل الإخوان شتموني.. ماذا تُسمي ذهابي للدنمارك، أو تأييدي لعبد السلام المحجوب في انتخابات 2010م. هناك مواقف اتخذت في 2007م عملت برنامج "دعوة للتعايش" يهاجم المظلومية والصّدام..

قيل إن المخابرات البريطانية تبنت مجموعة من الدّعاة أنت من بينهم.. بعد تفجيرات لندن؟

- هذا غير صحيح، أنا عدتُ إلى مصر قبلها، عدت 2005م وتفجيرات لندن حدثت 2007م.. أذهب طبعًا للندن، وعندي هناك مؤسسة هي "رايت ستارت"، وأنا لم أتعامل مع المخابرات أبدًا، لكن أتعامل مع سفراء في كل أنحاء العالم حتّى أكون واضحًا..

قيل إن الغرب يتبنّاك كبديل سياسي، وإن هذا كان طموحك، و"نيويورك تايمز" أرسلت صحيفة هي "سامنتا شابيرو" لازمتك لمدة شهرين لتكتب عنك.. ما تفسيرك؟

- الغرب مولع بكلّ ظاهرة نجاح ويُفرد لها الصفحات.. عندما تكون

نتائجي على الإنترنت أفضل من أوبرا وينفري.. ماذا تتوقع؟ لا بُدَّ أن يهتموا طبعًا، وليس فقط الـ"نيويورك تايمز".."التايم" اختارتني من أكثر 50 شخصية مؤثرة في العالم، ومركز الملك عبدالله اختارني كواحد من أهمَّ عشرين شخصية في العالم الإسلامي، هُم يهتمون لأن عمرو خالد مؤثر، الاهتمام كان 2007م؛ لأن النجاح كان مؤثرًا، ممكن تفكر لو الاهتمام حصل 2010م قبل الثورة، لستُ أنا الذي يراهن عليه الغرب لتغيير، لم أعرف بالربيع العربي سوى من التلفزيون، كنت في ديفوس واتصلت بأبي وقال لي لا تُعلن موقفك إلا لو تدخل الجيش.. وهكذا فعلتُ جدًّا.. أنا لم أكن أعرف ماذا يعني الربيع العربي؟ ليس لديّ دافع لهذا.. أنا ناجح بمجهودي.. ولا أحتاج لهذا، هُم اهتموا جدًّا في 2007م، وربما كانوا يبحثون عن شخص يصلح، واكتشفوا أنني لستُ هذا الشخص.

دعاة وبروتستانت

تناقش السطور التالية قضية حساسة، لكنها لن تصبح كذلك إذا أدركنا عن ماذا نتحدث بالضبط، نحن نتحدث عن تأثير كبير للدعاة الجدد بالمذهب البروتستانتي في الديانة المسيحية، لكننا لا نتحدث عن تشابه في التعاليم الدينية، نحن نتحدث عن تأثيرات في لغة الخطاب، وفي الأشكال التي اقترَب بها الدعاة الجدد من الناس.. وقد سألت عمرو خالد مباشرة، فأقسم أنه لم يرَ أيًّا من الوعاظ البروتستانت لآ في الداخل ولا في الخارج.. وشبه نفسه بعبده الحليم حافظ الذي وجهت له تهمة الاقتباس من الموسيقى الغربية فقال إنه عبّر عن نفسه ببساطة فقط.. وهو يقول إن أي تشابه بينه وبين الوعاظ البروتستانت جاء لأن الجميع ظهوروا في وقت واحد نتيجة احتياج

المُجْتَمَعَات .. بالنسبة لي كَانَ عمرو خالد يؤكد وينفي في الوقت نفسه .. فهو بَعْدَ أَنْ يَنْفِي نَفِيًّا تَامًّا يَعُودُ لِيَقُولَ لِي (ثم افرض اني رأيت وقلدت، لَمْ أَكُنْ لِأَخْجَلِ أَنْ أَقُولَ إِنِّي شَاهَدْتُ هَؤُلَاءِ الْوَعَاظُ وَتَأَثَّرْتُ بِهِمْ، النَّبِيُّ اقْتَبَسَ فِكْرَةَ الْخُنْدُقِ مِنَ الْفُرسِ، لَيْسَ عِنْدِي حَرَجٌ أَنْ أَقُولَ لَكَ اسْتَفَدْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ، لَكِنْ لَمْ يَحْدِثْ، أَنَا جِئْتُ وَعَبَّرْتُ عَنْ نَفْسِي كَمَا أَنَا وَلَمْ أَفَكِّرْ مَاذَا سَيَقُولُ عَنِّي الشُّيُوخُ أَوْ مَاذَا سَيَقُولُ عَنِّي الْغَرَبُ).

المحتجون

في 1517م ظَهَرَ (المُحْتَجِّونَ) لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، عَلَّقَ قَسَ غَاضِبٍ مِئَةَ احْتِجَاجٍ لَهُ عَلَى الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، عَاقِبَهُ الْبَابَا لَكِنْ النَّاسُ أَيْدُوهُ وَشَارَكُوهُ فِي احْتِجَاجِهِ، فَوُلِدَ الْمَذْهَبُ الْبُرُوتَسْتَانْتِي .. وَبَعِيدًا عَنِ الدُّخُولِ فِي تَفْصِيْلَاتٍ مُعْقَدَةٍ فَإِنْ أَهَمَّ مَا قَدَمْتَهُ الْبُرُوتَسْتَانْتِيَّةُ لِلنَّاسِ هِيَ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُمْ إِنَّ الْخِلَاصَ لَيْسَ بِالْأَعْمَالِ وَلَكِنَّهُ فَقَطْ يَأْتِي بِالْإِيْمَانِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، أَوْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ .. إِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مَوْجُودَةٌ فِي الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، إِنَّهَا الْفِكْرَةُ نَفْسُهَا الَّتِي تَبْنَاهَا خِطَابُ الدُّعَاةِ الْجَدُّدِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَمْرُو خَالِد .. نَحْنُ نَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ لَنَا .. إِنَّ هَذِهِ فِكْرَةٌ نَقِيضَةٌ تَمَامًا لِمَا يَرْوِّجُهُ خِطَابُ دُعَاةِ السَّلَفِيَّةِ، الْغَاضِبُونَ، الْمَزْجُرُونَ، الَّذِينَ يَلْقَوْنَ خِطَابَاتِهِمْ بِنَبْرَاتٍ صَوْتٍ عَالِيَةٍ، وَغَاضِبَةٍ، وَيَخْبِرُونَ النَّاسَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنْ مَنْ يَرْتَكِبُونَ كِبَائِرَ الذُّنُوبِ لَنْ

يكون مصيرهم سوى النار، وعذاب القبر على يد الثعبان الأقرع.

تستطيع أن تقول إذن إنه كما احتجّ "البروتستانت" على المؤسستين الدينتين "الكاثوليكية" ثم "الأرثوذكسية" احتجّ الدعاة الجدد على خطاب الدعوة السلفيّة القائم على الزجر والتخويف، واحتجوا أيضًا في صمت على المؤسّسة الدينيّة التقليدية، لكن الحقيقة أن احتجاجهم هذا لم يُعبر عن اجتهاد حقيقي، ولم يجرؤوا أساسًا على المجاهرة به..

فكرة دخول الجنة برحمة الله، التي هي معادل لفكرة (الخلاص بالنعمة وليس بالعمل) يُعبر عنها داعية مثل خالد الجندي حين يقول إنه من المستحيل أن يدخل الله المسلمين النار، ففي العالم مليارات من غير المسلمين، وملايين من المسلمين الذين ليسوا على مذهب السنة، وأقلية الأقلية هم المسلمون الصالحون، الذين لم ينجرفوا لهوة الابتداع، وليس منطقيًا أن يترك الله كل هؤلاء ليعذب المسلمين السنة الذين لم يتبعوا فرقة ضالة).

من أوجه التشابه أيضًا ذلك القرب والتشابه الذي بات يجمع الدعاة الجدد مع جمهورهم؛ حيث لا زيا كهنوتيًا خاصًا، فهم لا يرتدون ذلك الجلباب وغطاء الرأس القادم من الخليج وذات الطابع التاريخي الذي يرتديه دعاة السلفيّة المشاهير لبدو الواحد منهم وكأنه خارج من فيلم تدور أحداثه في العصور الوسطى.. وهم أيضًا لا يرتدون الزي الأزهرى الشهير الذي يرتديه وعّاظ الأوقاف والعاملون في دار الإفتاء، وعلماء

الأزهر بشكل عام، يرتدي الدعاة الجدد زيًا يشبه ما يرتديه جمهورهم من المهنيين ورجال الأعمال والموظفين.. ذلك أنهم هم أنفسهم ليسوا رجال دين أو كهنوت بالمعنى التقليدي..

لقد كانت فكرة عدم وجود رجل دين بالمعنى التقليدي فكرة بروتستانتية أيضًا، رغم أن الإسلام أيضًا لم يعرف رجال الدين أو الكهان ولكن العلماء.. الذين تحول بعضهم لمرتبة كهنوتية معنوية مع مرور الوقت، هذه الفكرة مرتبطة بفكرة رحمة الله للبشر، فإدام الله رحيماً فأنت لست في حاجة لمن يتوسط بينك وبينه لأنه سيدخلك الجنة برحمته وليس بعملك.. وهكذا فإن ثمة تشابهاً آخر ناتجاً عن قراءة مختلفة..

ولم يكن هذا كل شيء؛ حيث طالبت البروتستانتية أن تكون العبادة باللغة التي يتكلمها الشعب وليس باللغة التي يتحدثها العلماء، شيء من هذا حدث مع الدعاة الجدد الذين حدثوا الناس بالعامية البسيطة وليس باللغة القديمة والمنغمة التي كان يستخدمها علماء الأزهر، ولا باللغة العربية ذات الجرس الخليجي التي يستخدمها دعاة السلفية، وقد كان ذلك ملمح تشابه ثالث مع البروتستانتية.

الاسلام والثروة

على أن مَلَمَح التشابه الأهمّ، كَانَ ذَلِكَ الموقف مِنَ الْعَمَلِ والثروة.. وَكَانَ لِلأمر تجلياته المختلفة، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْفِي عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الدُّعَاةَ الْجُدُدَ أَعْلَوْا مِنْ شَأْنِ فِكْرَةِ الثَّرْوَةِ فِي الإسلام، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ مَا طَرَحَهُ عمرو خالد حين ظهوره؛ حَيْثُ اعتَبَرَ أَنَّ جَمْعَ الثَّرْوَةِ وَسِيلَةٌ لِرِضَا اللَّهِ وَلِإِعْطَاءِ صُورَةٍ مُشْرِفَةٍ عَنِ الإسلام، وَقَدْ شَارَكَهُ فِي هَذَا كُلِّ الدُّعَاةِ الْجُدُدِ، وَتَحَدَّثَ فِيهِ عَمْرُ عَبْدِ الْكَافِي الَّذِي اعتَبَرَ نَفْسَهُ دَاعِيَةً الْمَلَأَ (الارستقراطية القرشية الكافرة)، وَخَالِدَ الْجَنْدِيِّ الَّذِي تَحَدَّثَ كَثِيرًا عَنْ أَثْرِيَاءِ الصَّحَابَةِ مِثْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَفَضْلَهُمْ عَلَى الإسلام.. وَقَدْ سَأَلْتُ عَمْرُو خَالِدَ عَنْ تَبْنِيهِ لِهَذَا الْخِطَابِ وَكَأَنَتْ وَجْهَةً نَظَرُهُ كَالْتَالِي (نحن أُمَّةٌ تَعَانِي الْفَقْرَ، وَحَتَّى مَتَى سَيَبْقَى رِجَالُ الدِّينِ يَدْغِدْغُونَ مِشَاعِرَ الْفُقَرَاءِ بِالْكَلامِ عَنِ أَنَّ الرَّسُولَ كَانَ فَقِيرًا؟ الْحَدِيثُ عَنِ الزَّهْدِ فِي الإسلام قِيلَ فِي وَقْتٍ كَأَنَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ غَنِيَّةً، وَالْأَمْوَالُ مُتَوَافِرَةً، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ مَا يَقِلُّ مِنْ نَهْمِ النَّاسِ لِلِاسْتِهْلَاكِ، وَلَكِنْ الْآنَ أَنْتَ أُمَّةٌ لَا تَجِدُ قُوَّةَ يَوْمِهَا.. وَلَا يَزَالُ رِجَالُ الدِّينِ يَقُولُونَ إِنَّ الْفَقْرَ جَمِيلٌ وَإِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَبْقَى فَقَرَاءَ لِأَنَّ لِرَّسُولٍ كَانَ كَذَلِكَ.. أَيُّ إِطَارٍ فِكْرِي هَذَا؟ هَلْ عِنْدَمَا نَقُولُ نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ أَغْنِيَاءَ أَفْضَلَ، أَمْ عِنْدَمَا نَقُولُ فَلْنَسْتَمْتِعْ بِفَقْرِنَا!.. أَنَا أَقُولُ إِنَّ الْفَقْرَ لَيْسَ عَيْبًا، لَكِنْ التَّحَوُّلُ مِنَ الْفَقْرِ إِلَى امْتِلَاكِ الْمَالِ طَمُوحٌ وَاجِبٌ.. أَلَيْسَ

الرسول (ﷺ) هو الذي قال (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر).. وعندما قلتُ له إنك كنت تدعو الناس إلى جمع المال وليس إلى العمل.. وهناك فَرْقٌ لأن جمع الناس قد يكون بوسائل غير شريفة، قال (أنا قلت حديث ما نبت من حرام فالنار أولى به).. أنا كنت أدعو لثقافة العرق، وطُرق الأبواب؛ لأن الفقر يجلب معاصي أكثر من الكفر!

ديننا هو الذي قال نعم المال الصالح للرجل الصالح، بمعنى أنه ليت الصالحين يَكُونُوا أثرياء، أليس الفقر هو الذي أتى بالعشوائيات وزنى المحارم وبالتالي أتى بالإلحاد!، أليس الفقر هو الذي جعل جزءاً من المتطرفين يكره الحياة ويتمنى الموت، أليس علي بن أبي طالب هو الذي قال لو كان الفقر رجلاً لقتلته؟، ألم يكن الرئيس السادات يستدل بهذه الكلمة لعلّي بن أبي طالب؟، هل الدعوة للغنى أصبحت تهمة؟).

كما قلت لعمر و خالد في حوارنا فإن مشكلته أنه عندما ظهر في عام 1997م كان يدعو الناس لجمع المال، وليس للعمل.. وبين الاثنين فارق كبير.. على كل حال لا يمكن تجاهل الربط بين ما دعا إليه عمرو خالد وبين ما شرحه عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" في كتابه "الأخلاق البروتستانتية" 1904م؛ حيث يرى فيبر أنه في البلاد المتعددة الطوائف فإن أصحاب الثروة والنفوذ عادة ما ينتمون للطائفة البروتستانتية؛ حيث تهتم البروتستانتية بمباهج الحياة المختلفة، وترى أن على الفرد أن يعيش

باستمتاع وإثارة ومتعة)، فضلاً عن أنها (تعتبر العمل تعبيراً عن تمجيد الله وتعظيمه وليس لتحقيق مكاسب شخصية)، و(يكون العمل متقناً كلما اتصف صاحبه بالأخلاق الرفيعة، وبالإيمان القوي في قلبه، والنتائج عن الثقة في النفس)، وهو يرى أيضاً أن الرأسمالية ليست سوى التطور الطبيعي للبروتستانتية، بمعنى أن الناجحين في أعمالهم هم أولئك الذين يصطفاهم الله لكي ينجحوا، ومن جانبهم فإن أعمالهم تكون متقنة كلما تحلوا بالأخلاق الرفيعة، والإيمان القويم..

كان من ضمن الأفكار التي بدت مؤثرة أيضاً في خطاب الدعاة الجدد ومشبكة معه ولها أصل واضح في البروتستانتية، أن الله لا يحاسب الفرد على أعماله الدينية المنفصلة عن حياته أو عن عمله أو عن حياته الاجتماعية، لكنه يحاسبه عن حياته كوحدة واحدة، وبالتالي فإن عليه أن يبلي بلاءاً حسناً في كل المجالات، كانت الفكرة الرئيسة التي طرحها فيبر أن الرأسمالي هو ذلك الشخص المتدين الذي يحول عمله إلى نوع من العبادة المستمرة، وكلما نجح في عمله أكثر، كلما تقرب إلى الله أكثر.. وكان ذلك هو عين ما يقوله عمرو خالد حرفياً (عاوز أبقى مسلم غني علشان الناس تشوفني تقول ده مسلم غني، وتحب الدين) أو (عاوز أبقى غني علشان أعزم الناس وأحبهم في دين ربنا).

نحن الآن في نهاية التسعينيات، وقد بدأت الدولة منذ سنوات في

سياسات التكيف الهيكلي وبيع القطاع العام، وبدأ تأسيس طبقة جديدة من رجال الأعمال في مصر..

نحن خارجون منذ سنوات الثمانينيات التي كان الكاتب الناصري أسامة أنور عكاشة هو المسئول الأول عن صياغة وعي المصريين ورؤيتهم للأمور، لم يكن يحتل منصباً رسمياً يخوله هذا، لكنه كان مؤلف المسلسلات الأكثر شعبية في تاريخ التلفزيون المصري، وفي أحيان كثيرة كانت الشوارع تملأ من المارة أثناء إذاعة مسلسلات "ليالي الحلمية" و"الشهد والدموع"، لم تكن هناك قنوات تلفزيونية باستثناء قناتي التلفزيون المصري، وكان أسامة مسئولاً بشكل أو بآخر عن صياغة وعي المصريين.. في "الشهد والدموع" نرى ذلك الصراع الشهير بين "إيزيس" و"ست" إله الشر.. وهو هنا أخ غني وشرير قتل أخاه واستولى على ثروته، وكانت "إيزيس" امرأة فقيرة تربي أبناءها على الانتقام من العم بالنجاح الدراسي والمهني.. بشكل أو بآخر كان أسامة مؤثراً في كتاب آخرين، وكان الموقف الفكري من الأغنياء يميل إلى إدانتهم، وكان هذا محل شكوى رجال الأعمال الجدد.. الذين بدوا رأسمالين كما قال الكتاب، إنهم ليسوا تجاراً عابرين أو مهربي مخدرات على نمط رشاد عثمان وتوفيق عبدالحسي، هم مهنيون ناجحون ومعجبون بالغرب، ومعتنقون للمذهب الليبرالي، وكثيرون منهم مرتبطون بدوائر المصالح الغربية، كان في هؤلاء في حاجة لمن يعبر عنهم.. وقد

حدث هذا.. ظهر عمرو خالد مثل إعصار جماهيري.. وتسلم الدّاعية
الراية من الكاتب..

مع قدوم التسعينيات وتوغلها لم يعد الكتاب والمثقفون والمهنيون هم
الذين يصيغون وعي المصريين، تولى الراية حتى الآن الدّعاة ورجال الدين..
صاروا يتحدّثون للناس في كل الموضوعات.. من الجنس بين الزوجين إلى
أمور الاقتصاد والبنوك.. وما بينهما كثير.

إذا عدنا لعمرو خالد وزملائه من الدّعاة الجدد فسنجد أن هناك عدّة
ملاحظات، أولاً أن الدّعوة للعمل تختلف عن الدّعوة لجمع المال.. وفي
حين دعت البروتستانتية للعمل.. دعا الدّعاة الجدد إلى جمع المال.. وثمة
فارق كبير.. أما الفارق الآخر فهو أنّه في المُجتمعات الغربية الراسخة فإن
ثمة طريقاً واحداً مأموناً لجمع الثروة هو العمل.. أمّا في مجتمعاتنا فإن
الدّعوة إلى جمع الثروة هي غالباً دعوة إلى الفساد، ومخالفة القانون، والتورط
في شبكات المصالح.. وثمة ملاحظة ثالثة وهي أن البروتستانتية وحركة
الإصلاح الديني مارست تغييراً في العظم بالنسبة للديانة المسيحية، وكانت
ثورة دينية حقيقة فيما يتعلق في العلاقة بين المواطن والمؤسسة الدينية، وفيما
يخص النظرة للعالم، ودور الدين في حياة البشر، وليس سراً أن هذا الإصلاح
الديني كان سرّ نهضة العالم الغربي وانطلاقته، فإذا انتقلنا للدّعاة الجدد
أنّه غير مسموح لهم بالفتوى، وإن مستوياتهم العلمية لا تسمح له بمجرد

التفكير في مناقشة المؤسّسة الدينيّة، وبالتالي فنحن نتحدث عن تأثر شكليّ ينفي الدّعاة الجّدّد حدوثة من الأساس، ويتحرّج الجميع من الحديث عنه وليس عن تطور حقيقيّ أو تأثر مشروع انطلاقاً من الحضارة الإنسانيّة هي وحدة واحدة تؤثر مراكزها الأقوى في مراكزها الأضعف.

كَنَائِسُ الْهَوَاءِ الأصل الأمريكي للدعاة الجدد

مُنْذَ أَنْ قَرَّرَ الرَّئِيسُ السَّادَاتُ تَطْبِيقَ سِيَّاسَةِ التَّقَارُبِ مَعَ الْوِلَايَاتِ
الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، أَصْبَحَ تَأْثِيرُ الثَّقَافَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى حَيَاةِ الْمَصْرِينَ طَاقِيًا،
حَتَّى وَلَوْ كَانَ الشُّعُورُ الْعَامُ يَحْفَلُ بِمَشَاعِرِ الْكِرَاهِيَةِ لِأَمْرِيكََا، فَلِأَفْلامِ
الَّتِي تَحْتُلُ دَوْرَ الْعَرْضِ السِّينِمَائِيِّ هِيَ الْأَفْلامُ الْأَمْرِيكِيَّةُ، وَهِيَ كَذَلِكَ
الَّتِي يَعْضُهَا التِّلْفِيزِيُونُ الرَّسْمِيُّ حِينَ كَانَتْ قَنَوَاتُهُ وَبِرَاجِهِ مَحْطَ أَنْظَارِ
الْمُشَاهِدِينَ، وَمَحَلَّاتِ الطَّعَامِ الْأَكْثَرُ انْتِشَارًا هِيَ مَحَالُ الطَّعَامِ الْأَمْرِيكِيَّةِ
الَّتِي يَقْبَلُ عَلَيْهَا الْجَمِيعُ بِشَكْلِ لَا فِتٍ وَيَجْبُرُ الْأَطْفَالَ مِنْ أَبْنَاءِ الشَّرَائِحِ
الْعَلِيَا أَبَاءَهُمْ عَلَى الذَّهَابِ إِلَيْهَا، بَيْنَمَا يَعْتَبِرُ الشَّعْبِيُّونَ زِيَارَتَهَا مِنْ طُقُوسِ

تنزيه النفس وعلامات الرفاهية..

أما من ناحية السكن فلم يعد المصريون يبنون أحياء جديدة على طريقة عمائر وسط البلد والزمالك وجاردن سيتي، التي كانت أوروبية الطابع بامتياز، ولم تعد شرائحهم العليا تسكن سوى في "الكومباوند" الذي ليس سوى استنساخ للطريقة الأمريكية في السكن والمعمار، حتى إن بعض "الكومباوندز" المصرية ليست سوى امتداداً لنظيرتها الأمريكية بنفس الاسم الأجنبي وبنفس طريقة التصميم.

وليس خافياً أن ما حدث في مجال الطعام والسكن وطرائق الحياة المختلفة حدث على نطاق أوسع في عوالم الاقتصاد والبيزنس التي بدت أكثر تأثراً أو أكثر وضوحاً في التأثير.

لم يكن الدين أيضاً بعيداً عن التأثير بأنماط الحياة الأمريكية التي غزت كل المجالات، وكان الدعاة الجدد هم التعبير الرئيس عن الغزو الأمريكي لطريقة تدبُّن المصريين.

كان الدعاة الجدد تأثراً واضحاً وترجمة محلية لظاهرة مبشري التلفزيون الأمريكيين.. وفي رواية أخرى كانوا أسلمة لظاهرة (كنائس الهواء) التي عرفها الناس في أمريكا.. وواجهت رفضاً من أغلبية الكنائس المسيحية..

لم يكن مبشري التلفزيون الأمريكيون سوى مجموعة من الذين وجدوا أن

ثقة الناس فيهم هي الطريق الملكي لجمع ثروات تقدّر بمليارات الدولارات، وكان ذلك من خلال بيع بضاعة واحدة يدمنها البسطاء في كل مكان وهي الدين.

كانت ظاهرة كنائس الهواء بنتاً شرعية لظهور محطات التلفزيون الأمريكي في بدايات الخمسينيات وظهور خمس شبكات تلفزيونية كبرى تتنافس فيما بينها على جلب الإعلانات وعلى جذب المشاهد، وسرعان ما أدركت هذه المحطات أن البرامج الدينية هي أحد رهاناتها الناجحة في سباق جذب المشاهدين فتنافست في تقديم أولئك القساوسة والمبشرين الذين يستطيعون جلب المشاهدين.

ولم يكن الأمر يخلو من دافع سياسي؛ حيث أراد بعض مالكي القنوات أن يستفيدوا من شعبية هؤلاء القساوسة في مواجهة المد الشيوعي، وعلى الأقل فإن هذا ما حدث مع "بيلي جراهام" أول مبشري التلفزيون وأكثرهم تأثيراً.. لقد كان هذا الرجل المولود منذ قرن كامل مجرد داعية محلي في إحدى المقاطعات لولا أن مالكا لشبكة إعلامية كبرى قرر أن يتبنّاه، لقد استمع الرجل لمحاضرة ألقاها "جراهام" في زيارة لمدينة لوس أنجلوس فانبهر به، وأبرق إلى مديري شبكته الإعلامية قائلاً (انفخوا هذا الرجل)، وكان المقصود هو المبالغة في إظهار أفكار "بيلي جراهام" وإلقاء الضوء عليها.

لقد عاش "بيلي جراهام" قرناً كاملاً، وكان مستشاراً روحياً لخمسة

رؤساء أمريكيين، وتأثر بعظاته ما يزيد على 2 مليار شخص حول العالم، ولم يكن في أي وقت محطاً لاتهامات بالفساد المالي ومع ذلك فقد فتح ظهوره الباب للعشرات من مبشري الهواء الذين ارتكبوا جرائم مالية وحولوا الدين إلى سلّم يصعدون عليه نحو مزيد من الملايين والمليارات..

لقد أدى نجاح "بيلي جراهام" في بداية الخمسينيات إلى ظهور عشرات من مبشري الهواء في أجيال متعاقبة، وكان جمع التبرعات من الجمهور هو السمة الأساسية لهذه البرامج الدينية التي حملت اسم (كنائس الهواء).

لقد ارتبطت هذه الظاهرة بالثروات التي يجنيها مقدمو هذه البرامج أكثر من أي شيء آخر، وكان للظاهرة بعدها الفلسفي قبل أن يكون لها أي بُعد آخر.

health and wealth!

كَانَ هَذَا الْبُعْدُ الْفَلَسْفِي يُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهِ فِي سَيِّطْرَةِ فِكْرَةِ (إِنْجِيلِ الرِّخَاءِ) عَلَى مَبْشَرِي الْهَوَاءِ هَؤُلَاءِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْإِنْجِيلِ هُنَا هُوَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ ذَاتَهُ، وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ مِنْهُ فِكْرَةٌ مَعِينَةٌ أَوْ تَفْسِيرٌ مَعِينٌ لِهَذَا الْإِنْجِيلِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ تَقُولُ بِبَسَاطَةِ إِنْ اللَّهِ يَرِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ سَعِيداً أَوْ أَنَّهُ خَلَقَهُ لِكَيْ يَكُونَ سَعِيداً وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشْقَى فِي الْأَرْضِ.. وَكَانَتْ

الفِكرَة تقول أيضًا إن الصحة والثروة هما مكافأة الله لعباده المتقين.

ولم يكن ذلك بعيدًا جدًّا عمَّا قاله الدُّعاة الجُدُّ لجمهورهم في مصر بعدَّ عدَّة عقود؛ حيث وقف عمرو خالد ليقول للناس إن المسلم الغني يخدم الإسلام أكثر مما يفعل أي مسلم آخر، بينما كان داعية مثل خالد الجندي بقيض في تعداد فضل الصحابة الأثرياء على الإسلام والمسلمين.. كان هناك تأثير كبير لفِكرَة إنجيل الرخاء التي تمت أسلمتها على أفكار الدُّعاة الجُدُّ وعلى مجمل الظاهرة التي عبّروا عنها.

كان البُعد الفلسفي للفِكرَة يقول إن الثروة والصحة هي إحدى علامات رضا الله على عباده الصالحين، وإن العبد إذا كان فقيرًا أو معتل الصحة فليس معنى هذا سوى أنّه بعيد عن الله، ولا يؤدي فروضه الدينيّة على النحو الواجب.. وبما أن الفقر كان إحدى علامات الابتعاد عن الله فقد كان الغنى والثروة هو إحدى علامات القُرب من الله.

أمّا والحال كذلك فقد كان من الطبيعي أن يسعى المبشرون ومقدمو برامج الهواء لحيازة أكبر قدر من الثروة التي هي دليل على رضا الله عن العبد من وجهة نظرهم.. إن من الإنصاف أن نقول إن مبشري الهواء ارتكبوا العديد من التجاوزات التي تجنبها الدُّعاة الجُدُّ في مصر.

لكن الفِكرَة الأساسية حول الثروة واعتبارها دليلًا على رضا الله ظلّت

حاكمة ومسيطرة ولولا هذا لَمْ نَرَ الدُّعَاةَ الْمِصْرِيِّينَ وَقَدْ تَحَوَّلُوا إِلَى مليونيرات كبار تتحدث عنهم مجلة "فوربس" وتحصي ثرواتهم، وتطير الأخبار حول القصور التي يسكنون فِيهَا والملايين التي يحصدونها كنتيجة مباشرة لعملهم في الدَّعوة..

لم يحدث هذا مع داعية واحد.. حدث مع كثيرين ظهرُوا في وقت متقارب وشكلوا تيارًا وظاهرة مشابهة لتلك التي شكلها مبشرو الهواء في أمريكا.

لقد ظَهَرَ مبشرو الهواء الأمريكيون في الخمسينيات والعقود التي تلتها كانعكاس واضح لظهور قنوات تلفزيون الكابل المتعددة والمتنافسة في أمريكا.

وفي مصر كان عَلَى الظاهرة أن تنتظر تحرير ملكية قنوات التلفزيون، وظهور القنوات الخاصة مع بدايات القرن الحالى كي تنتشر.

إن أحد أوجه التشابه بَيْنَ الدُّعَاةِ الْجُدُدِ فِي مصر وبين مبشري الهواء فِي أمريكا أن كليهما لا يتبع مؤسسة دينية معينة، ففِي مصر لا يتبع هَؤُلَاءِ الدُّعَاةُ الْأَزْهَرُ أَوْ الْأَوْقَافَ، وَلَا جِهَةً معينة، وَفِي أمريكا فإن هَؤُلَاءِ لا يتبعون كنيسة بعينها أو مجلسًا إنجيليًا بذاته.

وكان مِنْ نتائج هذا أن جِهَةً معينة لا يمكن أن تحاسبهم ماليًا عَلَى

التبرعات التي يجمعونها من المشاهدين والتي غالبًا ما تتحول إلى أرقام في حساباتهم البنكية.

لقد أُجري استبيان بين عدد من أشهر هؤلاء المبشرين في عام 2010م، وقالت النتائج أن واحدًا فقط من بين 17 يقدمون هذا النوع من البرامج يخضع للرقابة المالية.

وفي الوقت الذي تكفل فيه سطوة وسائل الإعلام في أمريكا حق المعرفة؛ فإننا لا نعرف عن ثروات الدعاة لدينا وعلاقتهم بالمبشرين سوى النذر اليسير، وفي أمريكا مثلاً فإن مبشرًا مثل "جيسي دوبلانتس" قام بحملة لجمع التبرعات من مشاهديه حتى يشتري طائرة خاصة، ومبرره هنا أنه يستخدم الطائرة في القيام بمهام دينية في إفريقيا وأنه لا يمكن لمن كان مثله أن يستخدم طائرة ركاب عادية.. وكانت المفارقة أن "دوبلانتس" نفسه يمتلك بالفعل ثلاث طائرات خاصة، ولكنه أخبر مشاهديه أن الله طلب منه شراء الطائرة الرابعة.. وكانت المفاجأة أن الصحافة تقدر ثروته الخاصة بـ 40 مليون دولار.

أمّا "كينيث كوبلاند" فقد قالت الصحافة هناك إنه يدير مؤسسة تتبعها خمس طائرات ثمن الواحدة منها 17 مليون دولار أو يزيد، وقد ظهر مع زميله "جيسي دوبلانتس" ليدافعا عن امتلاكهما للطائرات الخاصة، وقال

لمشاهديه إن المسيح لو كان يعيش بيننا اليوم فلم يكن ليركب حماره الشهير، ولكنه كان سيركب طائرة خاصة!

على أن الأمر لم يتوقف عند حد انتقاد الصحافة لمظاهر الثراء المبالغ فيه، ولكنه امتد ليشمل جرائم نصب قام بها بعض هؤلاء، مثل "جيمس بيكر" الذي حُوكم بتهمة النصب على المتبرعين وحصل على أحكام بالسجن لمدة 45 عامًا خففت فيما بعد إلى ثماني سنوات قضاها وخرج ليعود إلى وعظ المشاهدين عبر قنواته التلفزيونية الخاصة.

إننا لا يمكن أن نفهم حجم ظاهرة مبشري الهواء، إلا إذا علمنا أن متوسط دخل رجل الدين العادي في أمريكا هو من عشرين إلى ثلاثين ألف دولار سنويًا، وإذا انتقلنا إلى واقعنا المصري سنجد أن واعظًا ازهريًا في وزارة الأوقاف المصرية لا يحصل سوى على عدة مئات من الجنيهات كراتب رسمي.. وفي الحاليتين فإن وعاظ ومبشري الهواء يملكون الملايين، بل وعشرات الملايين من تبرعات الميردين والمشاهدين.

أوجه التشابه

إذا دقت النظر ستجد أن التشابه بَيْنَ الدُّعَاةِ الْمِصْرِيِّينَ ومبشري الهواء الأمريكيين لا يتوقف فقط على مضمون ما يرددونه والذي يدور في كلتا الحالتين حول "إنجيل الرخاء"، الذي تمت أسلمته والبحث عن معانٍ إسلامية شبيهة له، ولم يقتصر الأمرُ أيضًا على الثراء الذي تمتع به الدُّعَاةُ الجُدُّد، ولا أسلوب حياتهم، ولا اعتمادهم على تبرعات الجمهور ورجال الأعمال التي كانت تُدفع بشكل عام لنصرة الدين أو لتلبية احتياجات البسطاء، أو لدفع فاتورة بعض الحالات الإنسانية... إذا شئنا الدقة فنحن أمام حالة استنساخ وتقليد من الدُّعَاةِ الجُدُّد لمبشري الهواء الأمريكيين، أو ربّما هي حالة تأثر واقتباس أتاحتها العولمة وثورة الاتصالات.

المرشد الروحي للرؤساء

لو جئنا لـ "بيلي جراهام" أشهر مبشري الهواء، وأكثرهم شهرة؛ سنجد أن رحلته فيها محطات عديدة، توقفنا أمامها في الفصل الأول التمهيدي لهذا الكتاب، لكن إحدى أهمّ وظائفه كانت عمله مرشدًا روحيًا لخمسة من الرؤساء الأمريكيين، ليس هذا فقط لكن سيرته تتحدث عن إنقاذه لـ "جورج بوش" الثاني من الضياع الأخلاقي؛ حيث كان شابًا مدللًا،

عَرَفَ الطريق للمخدرات ولعادات أُخْرَى كَانَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَقْضِيَ عَلَى مستقبله كابن لعائلة سياسية عريقة.. وبفضل "بيلي جراهام" تغيرت حياة "جورج بوش" الابن.. عرف طريقه إِلَى الجدية والاستقامة، ثُمَّ صار رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية.

إِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تَتَشَابَهُ إِلَى حَدِّ التَّطَابُقِ مَعَ قِصَّةِ أُخْرَى لَمْ تَكْتَمَلْ تَحْدُثْ عَنْهَا مَجْتَمَعَاتُ الْقَاهِرَةِ عَامَ 2004م، كَانَ بَطْلُ الْقِصَّةِ الدَّاعِيَّةُ الصَّاعِدُ وَقْتُهَا عمرو خالد، الَّذِي قَالَتْ الشَّائِعَاتُ إِنَّهُ اسْتَطَاعَ التَّأْثِيرَ فِي حَيَاةِ نَجْلِ الرَّئِيسِ الْمِصْرِيِّ وَزَوْجَتِهِ، وَإِنْ هَذَا التَّأْثِيرُ قَادَ الزَّوْجَةَ لَارْتِدَاءِ الْحِجَابِ، وَإِنْ تَدَخُّلاً مِمَّا مِنَ الْأُسْرَةِ حَدَّ مِنْ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ.. وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَسْبَابِ مَغَادِرَةِ عمرو خالد للقاهرة.. أَيًّا كَانَ لَقَدْ زَالَ هَذَا التَّأْثِيرُ سَرِيعًا مِثْلَمَا زَالَ تَأْثِيرُ عمرو خالد عَنْ عَشْرَاتِ الْأَلْفِ اللَّاتِي تَأَثَّرْنَ بِهِ وَقَدْ ظَهَرَهُ، لَكِنْ التَّشَابَهُ يَبْنِي الدَّورَ الَّذِي لَعِبَهُ "بيلي جراهام"، وَالدَّورَ الَّذِي سَعَى عمرو خالد لِلْعِبَةِ لَا يُمْكِنُ إِغْفَالَهُ.

الطموح السياسي

القدرة على التأثير تُولّد الطموح السياسي.. هذا هو مَا يُمكن استخلاصه من سيرة بعض مبشري الهواء، وكذلك من سيرة بعض الدعاة الجُدد.

في أمريكا كان "بات روبنسون" هو أكثرهم اقتراباً من السياسة؛ حيث خاض الانتخابات الداخلية في الحزب الجمهوري، كان على وشك أن يصبح مرشح الحزب في 1988م، كان ذلك ناتجاً بالأساس عن انتمائه لأسرة سياسية، إذ كان والده عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي.

لقد أسّس "بات روبرتسون" وكالة البث المسيحية، وأسّس جامعة بالاسم نفسه وتحوّل إلى إمبراطورية ضخمة، ورغم أنه لم يُفُز بترشيح الحزب الجمهوري؛ فإنه استفاد من الزخم الذي أحدثه ترشيحه وأصبحت آراؤه الحادة والمتطرفة أحد الأصوات المؤثرة في السياسة الأمريكية.

إن هذا يُذكرنا بالطموح السياسي لدى داعية مثل عمرو خالد طرح نفسه كبديل سياسي وأسّس حزباً يسعى للهدف نفسه لولا أن كان لثورة 30 يونيو رأي آخر.

التنمية البشرية للجميع

من أوجه التأثير الكبيرة أيضًا اقتباس الدُّعاة الجُدد لمناهج التنمية البشرية، وسعي بعضهم إلى أن يطرح نفسه كمؤلف لروايات أو لكتُب تنمية بشرية..

إن هذا نفسه هو ما فعله قبل هذا بسنوات "جويل أوستين"، وهو لم يكتفِ بكونه نجمًا لبرامج الهواء ولكنه ألّف أكثر كتُب التنمية البشرية مبيعًا في تاريخ أمريكا، ففي 2007م أطلق "أوستين" كتابه الثاني "اجعل من نفسك أفضل.. 7 مفاتيح لتحسين حياتك في كل يوم"، الذي تصدرت مبيعاته قائمة الـ "نيويورك تايمز" لأكثر الكتب مبيعًا، إذ باعت طبعته الأولى 4 ملايين نسخة.

لقد واجه "جويل أوستين" اتهامات شبيهة بالتي واجهها بعض الدُّعاة هنا.. مثل إنه لا يعتمد على الكتاب المقدس كثيرًا في عظاته وكان ردُّه "إنني أحاول أن أعلم الناس كيف يعيشون حياتهم اليومية".

تقوم فكرة "جويل أوستين" على خلط المبادئ الدينيّة مع مبادئ التنمية البشرية، وهو ربّما يكون الأكثر تأثيرًا في داعية مثل عمرو خالد.

الانكشاف

ونحن نتحدث عن ظاهرة مبشري الهواء في أمريكا، وعن الدعاة الجدد لدينا؛ يجب أن ندرك أننا نتحدث عن مرحلة دخلت طور الأفول.. نتحدث عن ظهور ساطع.. وانتشار كبير، ثمَّ عن انكشاف أو تراجع.. في أمريكا كانت الثمانينيات والتسعينيات وبعض سنوات بداية الألفية هي سنوات الازدهار.. وفي مصر وصلت الموجة متأخرة بعض الشيء، وعرفت سنوات المد، لكنها الآن بكل تأكيد في سنوات الجُرر.

في أمريكا تعالت أصوات من داخل الكنائس الإنجيلية بالفرض، كان من أهمها القس "ماك أرثر" الذي كتب سلسلة مقالات يهاجم فيها مبشري الهواء، وقال في إحدها.. "يجب على المرء أن يقول هذا بصراحة.. إن المعالجين بالإيمان والواعظين في مجال الصحة والثروة، ممن يظهرون في القنوات الدينية هم محتالون.. رسالتهم ليست الإنجيل الحقيقي ليسوع المسيح.. لا يوجد شيء روحي أو معجزة، بل يخدعون اليائسين لاستفيدوا من ضعفهم، هم ليسوا إلهيين لكنهم محتالون جشعون يفسدون كلمة الله من أجل المال، إنهم ليسوا قساوسة حقيقيين يرفعون عباد الله، لكنهم يمارسون حيلهم للابتزاز.. إن جبههم للمال واضح فيما يقولونه وكذلك كيف يعيشون، يدعون أنهم يمتلكون قوة روحية عظيمة، لكنهم في الواقع ماديون)..

انتهى الاقتباس من مقال "ماك أرثر".. والحقيقة أننا نؤمن أن نطلق كل ما

أطلقه من أوصاف على الدعاة الجدد في مصر، الذين أثبتت الأيام والأحداث أنهم لا يختلفون إطلاقاً عن مبشري كنائس الهواء في أي شيء.

أمّا الكاتبة "إليشيا سوزت" فقد فضّلت أن تتحدث عن أمثلة واضحة حيث قالت (لا أرى أي واعظ تليفزيوني أميناً، الهدف من رسالتهم كسب المال فقط، لقد كنت أقوم بإجراء بحث من أجل كتاب أخطط لكتابته، وشاهدت العديد من هذه البرامج.. وهذه بعض ملاحظاتي..

عندما ألقى نظرة على ("جويل أوستين) وعيناه الرقيقتان، أرى الخداع، أنظر إليه ولكنيسته وأتساءل كيف جمع ملايين الدولارات لبنائها؛ خصوصاً أنّه أكد عدم حصوله على قروض.

أمّا كينيث كوبلاند فقد خدع متابعيه حين قال إن قراءة الكتاب المقدس تجعله قادراً على سداد الديون!

وفي إحدى الحلقات ناقش "كوبلاند" مع ضيفه الواعظ "جيسي دوبلانتس" كيف أن إرسال التبرعات لكنيسة كوبلاند يساعد الناس على البقاء بعيداً عن الديون!، وكيف أنك إذا لم تفعل ذلك فأنت لم تؤمن حقاً!

أمّا الكاتبة "جنيفر سي مارتين" فقد التقطت نكتة وهي تتابع أحد هؤلاء المبشرين.. لقد قال الرجل لجمهوره إنه سيتحدث عن وعاظ إنجيليين

هدفهم الوحيد هو طلب الأموال من المرضى والفقراء، واليائسين، من أجل وضعها في جيوبهم الخاصة وشراء احتياجاتهم من قصور، وطائرات، وسيارات... أمّا النكتة فكانت أن الرجل نفسه واسمه "جون أوليفر" طلب تبرعات من الجمهور لمساعدته في بناء كنيسة الجديدة، مما يساعد على علاج أمراض الناس.

تقول جينيفر (يتبع هؤلاء المبشرون نموذج إنجيل الرخاء، الذي يعتقدون فيه أن الثروة علامة على رضا الله عنهم، وذلك ببساطة من خلال الدعاء من أجل المال، بالإضافة إلى التبرع بمبالغ كبيرة من المال من مختلف الكنائس).

وتواصل.. (غالبية ضحايا عقيدة الرخاء الضارة من الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة، فهم يرون في لاهوت الرخاء أمراً خارقاً للطبيعة، وهذا ليس صادماً؛ خصوصاً أن 61٪ منهم يلعبون اليانصيب).

معز مسعود: داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

قال إنه يجب ألا يكون داعية.. ويُفضل أن يُسمى نفسه "باحث في الإلهيات"

حالة التجريف الثقافي أدت لأن يرث الدُّعاة أدوار المثقفين.. ومعز مسعود نموذج مثالي..

ذاتية الشديدة منعه من الانضمام للإخوان.. وليس صحيحًا أنه لا يربح من براجه..

ليس عاطفيًا مثل عمرو خالد ويحاول أن يقدم وجهًا عقلائيًا وليبراليًا

للدين.. سيتحول من داعية إسلامي إلى منتج فني للأعمال المحافظة وسيقود لوبي محافظ في الفن المصري.

لفت الاهتمام الكبير بأخبار الدعاة الجدد ومنهم الداعية معز مسعود الأنظار بشدة للدور الذي بات هؤلاء الدعاة يلعبونه في حياة المصريين، ولاختلاف الدور الذي بات هؤلاء الدعاة يلعبونه في حياة المصريين، عن ذلك الدور الذي كان يحتله رجال الدين القدامى في عصر ما قبل ثورة الاتصالات والسوشيال ميديا، كما يلفت النظر إلى الاختلاف في تكوين هؤلاء الدعاة، وطبيعة الأدوار التي باتوا يلعبونها، ولفت النظر أيضًا إلى تأثيرهم بأنماط الوعظ الأمريكي "البروتستانتية" .. وغير ذلك من السمات التي باتت تميزهم عن غيرهم، وتحتوي السطور التالية على فصل من كتاب "الوعظ على الطريقة الأمريكية"، وهو بمثابة جزء ثان لكتاب "ظاهرة الدعاة الجدد" الذي حاول استجلاء ظاهرة الدعاة الجدد من جوانبها المختلفة.

(التأمل في مسار الداعية معز مسعود، كواحد من أبرز أبناء الجيل الثاني أو الثالث من الدعاة الجدد يكشف عن تلك الحالة التي تضع فيها الخطوط الفاصلة بين الداعية، والإعلامي، والنجم الجماهيري، والمنتج الفني، والناشط السياسي إن استدعى الأمر أو سمحت الحال.. وإذا شئنا مزيداً من الدقة فإن معز مسعود تحديداً هو الحالة الأبرز لورثة الداعية لدور

داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

المثقف الحديث في المُجْتَمَع المصري في اللحظة الراهنة؛ حيث تراجعت مكانة المثقفين، ودرجات قبولهم لدى الرأي العام، وورث الدُّعَاة الجُدد ذلك الدَّور المنوط به توجيه الجماهير، وصياغة وعيهم تجاه القضايا المختلفة، وبالرحيل المتتالي لمثقفي جيل الستينيات الذين امتلكوا وعياً ووعياً مضاداً مرتبطاً بالدولة المصريّة مُعارضة وتأييداً.. انتهت مَرَحَلَة المثقف القادر على مخاطبة الجماهير وصياغة وعيه تجاه القضايا المختلفة.

ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي، والانفتاح على العالم؛ سَنَجِدُ أن الدُّعَاة الجُدد، ومعز مسعود تحديداً، صار راغباً وقادراً على صياغة وعي جمهوره من الشَّباب تجاه قضايا مختلفة من "المثليّة الجنسيّة" إلى "اختيار شريك الحياة"، ومن علاقة الإنسان بالشیطان، إلى وجود الإله ذاته ودوره في الكون..

وليس غريباً أن يعلن في لقاء تلفزيوني أخير له مع الإعلاميّ خيرى رموليس غريباً أن يُعلن في لقاء تلفزيوني أخير له مع الإعلاميّ خيرى رمضان أنّه لم يعد يرغب أن يطلق عليه لفظ داعية، وأنّه بات يرى أن اللفظ صار يحمل من الإساءة أكثر مما يحمل من التقدير، أو أنّه بات يتسع لأشخاص لا يحظون بالتقدير الكافي، وهو يفضل بدلاً من هذا أن تطلق عليه صفة "باحث في الإلهيات"؛ حيث التحق بالدراسات العليا في جامعة "كمبردج"، وأعلن أنّه يبدأ مَرَحَلَة جديدة في حياته تحوّل فيها من داعية

يشرح للمسلمين دقائق دينهم، أو حتى موقف الدين من القضايا الاجتماعية المختلفة إلى محارب للإلحاد بشكل عام، وهي كما نرى قضية عمومية يُمكن أن يشترك فيها مع عباس محمود العقاد أيضًا، وهي بلا شك تمنحه مساحة إضافية للحركة، وتوسع من إطار ما هو مشترك بينه وبين التيار الرئيسي والسائد في مصر، إذ لا أحد يكره محاربة الإلحاد بدءًا من أجهزة الدولة الأمنية، وليس انتهاءً بالأزهر، ولا حتى الكنيسة.

إنه في هذه المرحلة الجديدة يقطع أي احتمال للشك، ولو بنسبة ضئيلة حول علاقته بمشروع الإسلام السياسي أو الإسلام الحركي، وينطلق إلى آفاق أوسع سبقه إليها عدد من كبار الوعاظ الأمريكيين أو "وعاظ التليفزيون" الذين اختاروا قضايا مثل إثبات وجود الإله، كطريق لقلوب ملايين المريدين وملايين التبرعات أيضًا.. إن هذه القضية تبدو مناسبة أكثر لمجتمع مثل المجتمع الأمريكي كان في لحظة من اللحظات يخشى من انتشار الشيوعية، ويرى أن ما يميزه عن الاتحاد السوفيتي، ويكفل لأمريكا الانتصار هو أن الأمريكيين شعب يعرف الله ويذهب إلى الكنيسة كل يوم احد.

ورغم أن أحدًا لم يقل إن انتشار الإلحاد بات خطرًا يهدد المجتمع المصري، الذي يشكو من ازدياد معدلات التدخين الشكلي، والكاذب أكثر من أي شيء آخر؛ فإن معز مسعود قرر أن يوجه جهودًا للبحث في قضية وجود الإله بشكل

داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

فلسفي، وهو نظم عقب عودته من إحدى سفرياته لانجلترا محاضرة حضرها ألف من رموز المُجتمَع والفنانين وحاضرهم حول فكرة وجود الإله، كما أطلعهم على مناظرة جرت بينه وبين الفيلسوف "تشارلز دو كينز"، الأستاذ بجامعة أكسفورد، وهو أحد أشهر العلماء المؤمنين بنظرية التطور.

معز مسعود هو الأكثر تأثراً بنمط الوعظ البروتستانتي بين الدعاة الجدد، ولا يقتصر هذا على المشتركات التي تجمع بين الدعاة الجدد بشكل عام وبين الوعاظ البروتستانت من حيث استخدامهم لنفس اللغة التي يتحدثها الجمهور في الوعظ، وارتدائهم لنفس الملابس، والتركيز على الفكرة التي تقول إن الناس لا يدخلون الجنة بأعمالهم بقدر ما يدخلونها برحمة الله لهم..

بالإضافة إلى هذا فإن معز مسعود بحكم دراسته، وانفتاحه على الثقافة الغربية، حتى إنه بدأ الوعظ أساساً بسلسلة دروس في الولايات المتحدة الأمريكية، أعقبها برنامجين عن الإسلام باللغة الإنجيلية على قناة "اقرأ".. تلاها تقديمه لبرامجه باللغة العربية، وأولها برنامج "الطريق الصح"، ولا شك أن ثقافته وانفتاحه على نمط الوعظ الغربي ولدت لديه رغبة قوية في أن يخاطب عقول الناس، وليس عواطفهم، وهو على خلاف الداعية عمرو خالد الذي سبقه في مضمار الوجود الزمني والتأثير.. فإن خطاب معز مسعود لا ينطوي على جانب عاطفي، أو بكائي، كما أنه حاول طوال

الوقت تقديم وَجْهٍ ليبرالي للإسلام بقدر الإمكان، ففي الحلقات التي قدّمها عن المثلية الجنسية، حاول أن يُفَرِّقَ بَيْنَ فعل المثلية نفسه الذي يُحَرِّمُهُ الإنسان، وبين شخص المثلي الذي رآه أقرب إلى الضحية، وهي نظرة تختلف عن النظرة السِّلَفِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ التي ترى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قتل "الفاعل والمفعول" أو إلقائهما مِنْ ارتفاع شاهق كما فعل تنظيم "داعش" فِي المناطق التي كَانَتْ تحت سيطرته.

وإذا كَانَ التأثير الشديد بالوعظ البروتستانتي هو السَّمة الأولى، وإذا كَانَتْ الرغبة فِي صياغة خطاب عقلائي غير عاطفي هي السَّمة الثانية، فإن الإحساس الشديد بالنجومية الفردية، والرغبة فِي الحفاظ الدائم عليها هو السَّمة الثالثة، ولو تأملنا الطريقة التي روى بها معز مسعود كيف أصبح ملتزماً دينياً، سنرى أَنَّهُ لَا تختلف إطلاقاً عما يرويه نجوم السينما مثل حنان ترك عن طريقة التزامهم،.. فهو فِي هَذِهِ الرواية كَانَ طالباً منفلتاً فِي الجامعة الأمريكية فِي نهاية التسعينات لكن حوادث موت متتالية لمجموعة مِنْ أصدقائه، فضلاً عن جراحة كبيرة مرَّ بها، تجعله يراجع نفسه حول نمط الحياة الذي يعيشه، وهي قصة لَا تختلف عن قصة التزام فنانة مثل حنان ترك التي غيرت حياتها عقب حادثة وفاة هزتها.. وستجد أَن هَذِهِ القصة تتكرر كثيراً فِي حياة نجوم الفن وأبناء الطبقات العليا الذين يغيّرون حياتهم تجاه الالتزام الدّيني أو هَذَا هو مَا يروونه للجمهور.

ولأنه بدأ رحلته قُرب بداية الألفية الثانية، ولأنه جَبَلٌ عَلَى الفردية، فهو عَلَى عكس عمرو خالد لمْ يبدأ عضواً فِي جماعة، ذَلِكَ أن وعيه العام بدأ فِي التشكل بَعْدَ مرور مَا يقرب مِن عشرين عاماً عَلَى تولي الرئيس مبارك الحُكم؛ حَيْث بات واضحاً أَنَّهُ باقٍ فِي مقعده، وأن نصيب جماعة الإخوان مِن السُّلطة السياسية بات محدداً فِي المقاعد التي تحصل عليها فِي مجلس النواب، وفِي المكاسب الاقتصادية التي يجنيها رجال الأعمال الذين يستثمرون أموالها.. وهي مَرَحَلَة مختلفة عن منتصف الثمانينيات التي التحق فِيهَا عمرو خالد بالجماعة، ولم تكن قَدْ مضت غير سنوات قليلة عَلَى اغتيال الرئيس السادات بأيدي إسلاميين، وكانت مصر كلها عَلَى موعد مع مَا سُمي وقتها بـ"الصحة الإسلامية".

معز مسعود هو ابن جيل مختلف، وحساسية مختلفة، وهو ابن "الإيمان الفردي" الذي عبر طريقه فِي مصر عمرو خالد الخارج مِن رحم التنظيم إِلَى براح النجومية، والثروة، والتأثير الواسع.

لذلك لمْ يكن غريباً أن يروي معز مسعود فِي برنامج تليفزيوني كيف أَنَّهُ رفض عرضاً بالانضمام لجماعة الإخوان عقب التزامه الديني؛ حَيْث خَلَق الإخواني الراغب فِي استقطابه جواً درامياً وانتحى به بَعْدَ صلاة الفجر فِي لحظة مؤثرة، ليخبره أن الإخوان هُم العصبية المؤمنة، وأن عليه الانضمام لهم، ليرaug معز مسعود قائلاً أَنَّهُ يريد وقتاً يجري فِيهِ صلاة الاستخارة،

ليندهش محدثه ويخبره أن الانضمام للإخوان أمرٌ لا يحتمل الاستخارة.. ينهي معز مسعود حديثه بالقول بأنه رفض لثلاثة أسباب أولها أنه كان لديه عقل مختلف، وثانيها أن فطرته رفضت الجماعة، وثالثها أنه كان لديه "نفور اجتماعي" من أعضاء الجماعة، وهي مسألة يُمكن فهمها إذا عرفنا أن كل الدعاة النجوم بدءاً من الغزالي حتى عمرو خالد فارقوا الجماعة بعد بداية مشوارهم مع النجومية، فما بالنا والجماعة ترغب في ضم بطل قصتنا وقد تحققت نجوميته أو تكاد.

من الدعوة إلى الإنتاج الفني..

كما أسلفنا من قبل فإنه في حالة الدعاة الجدد، لا يمكن فصل الدعوة عن التليفزيون؛ حيث إن نمط الوعظ أصلاً قائم على وجود برنامج تليفزيوني من الأساس، وهو هنا مرتبط أيضاً بفكرة جني الأرباح مقابل تقديم المنتج الديني، وهي سمة أساسية من سمات الدعوة الجديدة؛ حيث ينتفي البعد الرسالي لعمل الداعية، ويحل محله البعد التجاري والذي يمكنه من جني الأرباح مقابل البضاعة الدينية التي يقدمها.. وإذا شئنا الدقة فإن هذا البعد الرسالي كان مرتبطاً أكثر بالتصورات الجهادية التي تهدف لتغيير العالم؛ حيث لا يرى المسلم الجهادي ضيراً في تقديم التضحيات في سبيل تغيير العالم حتى ولو بالعنف والإرهاب، كما أن هذا التصور كان موجوداً لدى جماعة الإخوان في صداماتها المختلفة مع الدولة حتى السبعينيات.. لكن

داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

الدعاة الجُدد لم يطرحوا فكرة تغيير العالم، ولكن طرحوا فكرة تغيير الأفراد لتصبح حياتهم أفضل.. انطلاقاً من أن الشخص الناجح مهنيًا وماديًا هو ذلك الشخص المتدين باعتدال، وهو ينجح بتوفيق إلهي، وبمزيج من الأخلاق، والمهارة المهنية، وهو تصور طرحته البروتستانتية فيما طرحت من أفكار وقت ظهورها..

وإذا عدنا إلى معز مسعود فإن فكرة إنتاج مسلسلات وبرامج ذات مضمون دعوي، ليست فكرة جديدة، وإن كانت المرة الأولى التي يتحول فيها داعية إسلامي معروف إلى منتج فني بشكل مباشر ينتج أفلامًا سينمائية لا تلتزم فيها الممثلات بالحجاب، ولا تناقش موضوعات دينية من الأساس؛ حيث يُعلَى فيلم "اشتباك" من قيمة المصير المشترك الذي يجمع الجميع، وقد حظي الفيلم بمستوى فني متميز، وشارك في مهرجان "كان"، وحظي بضجة كبيرة، وهو نتاج شراكة مهنية وفكرية بين معز مسعود، وبين آل دياب"، وهي أسرة فنية من ثلاثة سينمائيين شباب، لا يجرّمون الفن، لكنهم بالتأكيد ذوو ميول محافظة، وأخلاقية.. وقد مثل معز مسعود هذا التيار في الفن المصري.. وأنتج أغنية موسيقية في نفس الإطار وغنى فيها، وأظن أن هذا التيار سيتوسع في قادم الأيام.

الوعظ على طريقة حليف الشيطان!

لم يكن غريباً والحال كذلك أن يستبدل معز مسعود الآيات والأحاديث القرآنية في خطابه بعبارات حوار وردت في أشهر أفلام هوليوود، ذلك أن مضمون خطابه صار فلسفياً وعمماً، وهو أقرب إلى ورائته دور المثقف اليساري القديم، لكنه في حالتنا هذه مثقف يميني محافظ.. ففي برنامجه "خطوات الشيطان" يتحدث معز مسعود عن أن الشيطان هو وحش الاستهلاك الذي بات يتلع حياتنا، ويستشهد بعبارات وردت على لسان النجم الهوليوودي "إدوارد نورتون" في فيلم "نادي القتال" حين يقول: "إننا نعمل في أعمال لا نحبها، كي نشترى أشياء لا نحتاجها.. وهذا بلا شك تطور لافت في أسلوب داعية لا يزال الجمهور العادي يستقبله على أنه داعية إسلامي تقليدي."

الارتباط بالمجتمع الفني وبمجتمع المشاهير عبر عن نفسه في أخبار الزيجات المتتالية للداعية معز مسعود، والاهتمام المبالغ فيه من منصات التواصل الاجتماعي بالخبر، والذي مثل صدمة للجمهور التقليدي غير المتابع للتطورات التي يمر بها الداعية؛ حيث أعلن زواجه من بطللة آخر مسلسل أنتجه في سطر في بيان يتحدث عن جزء ثانٍ من المسلسل.. لتتعلق حمم من الهجوم عليه، وهي أولاً تعبير عن الإحساس بالصدمة من جمهور تقليدي صدمه أن يتزوج داعية من فنانة سينمائية غير محجبة، وهي ثانياً

داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

تعبير عن زيادة الوعي النقدي الذي بات الجمهور يتعامل به مع الدُّعاة الجُدُّد، فيما بَعْدَ ثورتي يناير ثُمَّ يونيو، وفيما بَعْدَ ثورة وسائل التواصل الاجتماعي؛ حَيْثُ كَانَ انتقاد الدُّعاة في بداية ظهورهم أَمْرًا مثيرًا للغضب الأغلبية الكاسحة مِنَ الجمهور، الذي كَانَ يعتبر الهجوم عَلَى سلوكيات بعض الدُّعاة بمثابة هجوم عَلَى الدِّين نفسه، وهو أَمْرٌ لم يعد موجودًا الآن بِكُلِّ تَأَكِيد.

إزاء هَذَا الغضب الجماهيري العارم، الذي صاحبه اتهامات للداعية بالتناقض مصحوبة بمقطع مِنْ برنامج قديم له يصف مِنْ يتزوج فتاة غير محجبة بأنه دَيُّوث، وإزاء إحساسه بنفسه كنجم جماهيري للملايين مِنَ الشَّبَابِ فِي مصر، لم يملك معز مسعود سوى أن يصدر بيانًا يوضح فِيهِ لجماهيره عددًا مِنَ النقاط الخاصة بحياته الشخصية.. منها أَنَّهُ اضطر لمغادرة مصر بَعْدَ ثورة 30 يونيو بَعْدَ أن وصلته تهديدات مثلت خطرًا عَلَى حياته، ومنها أَنَّهُ كَانَ أول مَنْ تنبأ بإرهابيات تحوّل الإخوان للإرهاب فِي مسلسل "خطوات الشيطان"، كَانَ هَذَا فِي حد ذاته كاشفًا عن مواءمات سياسية أجراها معز مسعود حَتَّى يظل محتفظًا بمساحات التأثير والربح التي حصل عليها فِي المُجْتَمَعِ المصري، وَكَانَ مِنْ بَيْنَ النقاط التي ذكرها أَنَّهُ ينتمي لأسرة ميسورة وأنه لا يحصل عَلَى مقابل مادي للبرامج التي يقدمها، وهي نقطة فِي حاجة لمراجعة؛ حَيْثُ يختلف تقديمه للبرامج عن إنتاجه

للمسلسلات بهدف التصدي للإرهاب بالمشاركة مع تليفزيون خليجي مثل تليفزيون أبوظبي.

أما أهم ما في البيان فهو تبريره لإقدامه على الزواج من فنانة غير محجبة، انطلاقاً من إيمانه بأن صلاح العقيدة يفوق أهمية العبادات من وجهة نظره، وأنه يؤمن بفكرة "الإيمان المتدرج"، وهي فكرة أساسية لدى الدعاة الجدد، وكانت سبباً في محاولة لاغتيال الداعية ياسين رشدي عام 1997م في الإسكندرية؛ حيث لا يقبلها السلفيون والمتشددون في الدين.

لا يشي بيان معز مسعود بأيّ تشدد فكري، ويبدو منطقياً في كثير من جوانبه، لكنه لم يسهم كثيراً في ترضية جمهوره الذي بدا مرتبكا إزاء هذا الداعية العابر للأنواع، والمُعبر عن نمط جديد من السلوك والتفكير غير المتطرف ولكنه محافظ، مع مراعاة أن الغضب تشارك فيه الجمهور الغاضب من نفوذ الدعاة الجدد والأقرب للعلمانية مع الجمهور التقليدي ذوي المزاج السلفي، والمحبط من سلوك الداعية المربك بالنسبة له..

إلى أين يسير؟

أغلب الظن أن نشاط معز مسعود وتأثيره هو والمراكز الداعمة له تسير في اتجاه لوبي أخلاقي محافظ في مجالات الفن والفكر أو المجالات المختلفة،

داعية لا يرغب أن يكون كذلك!

على نمط اللوبي الأمريكي الإنجيلي المحافظ في أمريكا، وهو لوبي يهدف إلى التأثير في السلطة في مستوياتها العليا، وفي النخبة في مستوياتها المختلفة.. أمّا معز مسعود نفسه فمن الصعب أن يوصف بأنه "داعية إسلامي" في قادم الأيام.

مصطفى حسني.. البحث عن هوية

رُغم أن معايير "الدّاعية الجديد" تنطبق على أسماء عديدة على ساحة الدّعوة؛ فإن مصطفى حسني هو ثالث ثلاثة تشتمل عليهم هذه الدراسة بعد عمرو خالد، ومعو مسعود، وهو يسبق الأخير بمعيار الجماهيرية المباشرة؛ حيث يصل عدد متابعي صفحته على "فيس بوك" لـ 33 مليوناً، وهو يقترب بهذا الرقم من عمرو خالد الذي يقول إن عدد متابعيه يقترب من 40 مليوناً، ويعتبر أن هذا دليل على بقاء شعبيته كما هي بعد ثورة 30 يونيو.

تحقق برامج مصطفى حسني نسب مشاهدة عالية، وكان من اللافت للنظر أن يكون هو الوحيد من بين الدّعاة الثلاثة الذي ظهر على شاشة التلفزيون في رمضان 2018م، بل إنه ظهر على شاشة كبيرة ومملوكة لجهات

تابعة للدولة، قبلها وبأيام قليلة جدًا وفي مايو 2018م أيضًا كان مصطفى حسني قد أثار ضجة كبيرة على وسائل التواصل الاجتماعي حين دُعيَ لإلقاء محاضرة لطلاب أكاديمية الشرطة كان عنوانها "التضحية والفداء"، ورُغم أن مضمون المحاضرة كان متماشياً بكل تأكيد مع ما يريد مسئولو الأكاديمية توصيله؛ فإن الاستضافة أثارت ضجة كبيرة.

كانت الضجة أساساً بين عدد من المتخوفين من عودة الدعاة الجدد، وكانت بشكل أكثر لدى المتخوفين من جذور للفكر الإخواني لدى مصطفى حسني، وكان البعض يرى أن ثمة خديعة تتم، وشاعت على مواقع التواصل الاجتماعي مقاطع للفيديو كانت بالتحديد مقطعين، من برنامج واحد لمصطفى حسني قدّمه في الفترة التي أعقبت قيام ثورة يناير، وكان يحمل اسم "عمار الأرض"، وكان المقطع الأول مقطعاً طويلاً يمتد إلى حلقة كاملة يروي فيه قصة القيادة الإخوانية زينب الغزالي، وكيف تحولت من اعتناق فكرة تحرير المرأة إلى أن تكون قيادة إخوانية، ويستعرض أجزاء من مذكراتها تتحدث فيها عن التعذيب الذي تعرضت له في الستينيات، حتى يصل إلى نهاية حياتها، وكان واضحاً جداً انتهاؤه لما سمّاه "الصحة الإسلامية" و"المشروع الإسلامي"، وهو أمر مفهوم، كان المقطع الآخر يتحدث عن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان باعتباره أيضاً من النماذج التي يجب التوقف عندها).

ورُغم أن أصوات المعارضين على وسائل التواصل الاجتماعي كانت عالية؛ فإنها لم تؤدِ إلى إيقاف برنامج مصطفى حسني، ولا إلى المساس بقدرته على التواجد في المجال العام.

وكان تفسيري الشخصي أن ما قدّمه في الشهور التالية لثورة يناير كان محاولة لمجاراة الاتجاه العام، الذي كان يحتفي بجماعة "الإخوان المسلمين" وينتظر صعودها للحكم، وأن المحكّ كان في موقفه بعدَ 30 يونيو؛ حيث تبرأ من الإخوان، ولم تعد مراكز مؤثرة تدافع عنه، وتركيز وجوده حتى إن دروسه ومعارفه الدينيّة باتت تستخدم لتثبيت عقيدة ضباط الشرطة، وتذكيرهم أن استشهادهم في مواجهة الإرهاب له جانب دينيّ أكيد.

الملاحظة الأساسية على مصطفى حسني أنّه أقلّ الثلاثة تميزاً من حيث تكوّن ملامح شخصيته وتأثره بالروافد الخارجية، وقد هاجمه داعية سلفي هو خالد عبدالله، عام 2010م، وقال إنّهُ يتأثر بالمتصوفة، وهو ما يعتبره خطأ في العقيدة من وجهة نظره.

وهو تلميذ لعمر و خالد، يصغره عمرياً بجيل كامل، ويشكل مع معز مسعود الجيل الثالث من الدعاة الجدد، وهو يكاد يكون بلا شخصية دعوية، أو مشروع متكامل، على عكس عمر و خالد، ومعز مسعود، اللذين انفتحا على نمط الوعظ البروتستانتي، وعلى تجارب مختلفة في التنمية البشرية والعمل الاجتماعي (في حالة عمر و خالد)، والإنتاج الفني والبرامجي، والبحث

في اللاهوت (حالة معز مسعود).. يمكن القول إنه منفتح على تأثيرات مختلفة ولا مشروع لديه سوى الاستمرار في التواجد حسب الظروف المتاحة، ومن نافلة القول أن الجرعة الدينية في برامج الأخيرة قد تراجعت لحساب الجرعة الاجتماعية الإنسانية، وهي سمة باتت تميز الدعاة الثلاثة الذين أشرنا إليهم آنفاً.

الإعجازيون

لا يمكن الحديث عن الدُّعاة الجُدد في مصر، دون الحديث عن صيحات الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، ولهذا أسباب مُتعدِّدة، أهمها ليس فقط التشابك بينَ العالمين، ولكن أيضًا كون خطاب الإعجاز العلمي ليس نتاج المؤسَّسة الدِّينيَّة الرسميَّة، وليس نتاج المدرَّسة الدعوية السلفية، وإنما يقع في منطقة بينَ المنطقتين، تجعله أقرب للخطاب الذي يتبناه الدُّعاة الجُدد، ويشترك معهم في ثلاثة عوامل .. أولها الجمهور، وثانيها البُعد التجاري والتسويقي المرتبط بطرحه كمنتج إعلامي، وثالثها طبيعة الدُّعاة أنفُسهم أو من يتبنون مثل هذا الخطاب، والتي تتشابه مع طبيعة الدُّعاة الجُدد من نواح عدَّة.

ورُغم أن المُجتمَع المصري عرف فِكْرة الربط بَيْنَ العِلْم والدين في وقت مبكر، أو بالتحديد مُنذ عام 1957م حين أصدر عبدالرازق نوفل كتابه "العلم والدين"؛ فإن عوامل عدّة منعت أن يتحول الإعجاز العلمي لصيحة من صيحات التّدين أو الدّعوة وقتها، لعل أبرزها عدم وجود أنماط التّدين التي شاعت فيما بَعْدَ عند المصريين، ومحدودية وسائل الإعلام وقتها، وعدم وجود النفط أو الدعم النفطي لأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة.. وهو من وجهة نظري العامل الحاسم في انتشار فِكْرة الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة؛ حيث أسست المملكة العربيّة السعوديّة الهيئة العلميّة للإعجاز العلمي في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، والتي تبنت وموّلت عددًا كبيرًا من أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، وتحول الدكتور زغلول النجار أحد العاملين فيها إلى أشهر دّعاة الإعجاز العلمي.

إذا عُدنا إلى الماضي سنجد أن عبدالرازق نوفل لم يكن داعية بالمعنى الذي تم التعارف عليه فيما بَعْدَ، لكنّه دارس للزراعة عمل في الوظائف الحكوميّة، حتّى انتهى وكيلا لوزارة الاقتصاد، وقد ألّف عدّة مؤلفات عن الإعجاز الرقمي في القرآن، وعن القرآن والعلم.. وربما هذا هو ما استدعى رد الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر (1883-1963م) الذي رفض دَعَاوى الإعجاز العلمي في القرآن قائلا إن "القرآن ثابت وحقائق العلم متغيرة".

وقد كان هذا هو نفس منطق الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطي) التي رفضت الفكرة نفسها حين طرحها الدكتور مصطفى محمود على صفحات مجلة "صباح الخير" في بدايه الستينيات.

على أن الأعوام الثلاثين الأخيرة شهدت إعادة إحياء لفكرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بعد تأسيس هيئة تحمل الاسم نفسه في جامعة الملك عبدالعزيز بالرياض، واضطلاع عدد من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي بعضويتها التأسيسية كان أشهرهم على المستوى المصري الشيخ محمد متولي الشعراوي، وعلى المستوى العربي الشيخ عبدالمجيد الزنداني مؤسس حزب الإصلاح في اليمن وزعيم جماعة الإخوان هناك، وفيما بعد قال الدكتور زغلول النجار أشهر دعاة الإعجاز العلمي إنه عضو في اللجنة التأسيسية للهيئة، وإن كان أغلب الظن أنه أحد الباحثين فيها.

أيًا كان موقعه فقد صار الدكتور زغلول النجار (17 نوفمبر 1933م) رمزًا لفكرة الإعجاز العلمي في القرآن، والسنة، وهو جيولوجي مصري خرج من مصر في منتصف الستينيات عقب الصدام بين الرئيس عبدالناصر وجماعة "الإخوان المسلمين" التي كان عضوًا فيها، ومثله مثل الآلاف من أعضاء الجماعة، فقد حظي بفرصة عمل في المملكة العربية السعودية، لكن فرصة العمل هذه تطورت لتُسفر عن ذلك النشاط الدؤوب للرجل للترويج لفكرة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

وَبِحَسَبِ تعريف هيئة الإعجاز العلمي نَفْسُهَا فإن تعريف الإعجاز هو (الاعتقاد بأن النص القرآني أخبر بحقائق كونية لم تكن مدرّكة للبشر في الماضي، وأثبتها العلم لاحقاً، والبناء عليها بما يتسق مع إيمان المسلمين بأن القرآن معجزة، ودليل على نبوة محمد بن عبدالله).

إن فِكْرَةَ الإعجاز تقوم على احتواء النص القرآني على حقائق علمية مخبأة في داخله، هذه الحقائق كشفها العلم الحديث فيما بعد، وهي دليل على إحاطة القرآن بكل حقائق الكون من ناحيّة، وهي أيضاً دليل على أنه ليس كلام بشر، كما كان يدّعي رافضو الرسالة المحمدية، إذن من أين سيعرف النبي الأمي هذه الحقائق المخبأة داخل النص القرآني والتي كشفها العلم الحديث فيما بعد.

لم يكن زغلول النجار وحده هو الذي تصدّى للحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، ولكن شاركه باحث كندي مسلم هو مورييس بكاي.. الذي أجرى أبحاثه برعاية سعودية، وقد وصفت الهيئات العلمية أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن بأنها تنتمي إلى العلم الزائف، بمعنى أنها تضم معلومات غير حقيقة..

أمّا على المستوى العربي فقد كان الدّاعية اليمني عبدالمجيد الزنداني (1942م) أشهر دّعاة الإعجاز العلمي، وهو داعية وزعيم سياسي لتيار "الإخوان المسلمين" في اليمن، وهو خريج كلية صيدلة الأزهر بالقاهرة

وقد اشتهر بشيئين اتضح أن كليهما كاذب، أولهما هو حديثه عن اكتشافه علاجاً لمرض الإيدز، وثانيهما حديثه عن لقاءات مُتَعَدِّدة جمعتة بعدد من مشاهير العلماء في العالم الغربي اعترفوا له خلالها بحجية دَعَاوَى الإعجاز العلمي في القرآن، وآمنوا فيها على حديثه، وقد كان أشهر هؤلاء رائد الفضاء "نيل آرمسترونج" أول بشري تَطَأَ قدمه أرض القمر، لكن اتضح أن اللقاءات لم تتم سوى في خيال الدَّاعِيَةِ الزنداني.

إذا عُدنا إلى مصر سَنَجِدُ أن فِكْرَةَ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حققت رواجاً كبيراً في ربع القرن الأخير، الذي شهد صعود ظاهرة الدَّعَاة الجُدُد، وقد مهَّد لها الشيخ الشعراوي الذي كان داعماً للفِكرَةِ وكان يطرز بها دروسه الشهيرة في التفسير، وقد تبنت جريدة الأهرام كبرى الجرائد الرسمية في بدايات هذا القرن نشر مقالات الدَّاعِيَةِ الإعجازي زغلول النجار، وقد أثار هذا اعتراضات بعض كبار الكُتَّاب في الجريدة، على أساس أن المادة التي ينشرها زغلول النجار هي مادة مشكوك في علميتها، ولكنَّ مسؤولي الإعلانات في الجريدة احتجوا بأن العدد الذي تنشر فيه المقالة الأسبوعية هو أكثر الأعداد جلباً للإعلانات وأعلىها توزيعاً.

على أن فِكْرَةَ الإعجاز العلمي فقدت جاذبيتها على مدى سنوات لأسباب مُتَعَدِّدة، منها تراجع المدِّ الديني أو نمط التَّدِينِ الشَّكْلِي مع سقوط جماعة "الإخوان المسلمين"، ونموَّ الحِسِّ النقدي لدى الجمهور مع اتساع المعارف،

وثورة وسائل التواصل الاجتماعي، وقد شهد عام 2017م مواجهة بين طلاب جامعة فاس المغربية وبين الداعية الإعجازي زغلول النجار، لكن طلاب كلية العلوم اعترضوا على وجوده، وعلى اعتبار ما يقول نوعاً من العلم؛ حيث أراد أن يوجد منطقاً علمياً لفكرة فرض الحجاب على النساء المسلمات فقال إنه يقي من أشعة الشمس فوق البنفسجية.. فسألته إحدى الطالبات.. ولماذا لا ترتديه أنت؟!

أيّا كان نوع اعتراضات الطلاب فقد كان ذلك مؤشراً ذات دلالة.. والحقيقة أن دعاوى الإعجاز العلمي لا تحتاج إلى مجهود كبير لاكتشاف مدى تلفيقها، وعدم جديتها؛ حيث تروج لمجموعة من الافتراضات غير المنطقية بدءاً من تنبؤ القرآن بأهمية المياه للحياة، مروراً بشرحه لكيفية تكوين اللبن، وكشفه لحقيقة انخفاض الأوكسجين في طبقات الجو العليا، وتنبؤه بنظام المجموعة الشمسية.. إلخ..

وإذا كان الدكتور زغلول النجار هو الأشهر في مجال الإعجاز العلمي في القرآن، فإن الدكتور عبد الباسط عبد المعطي اختص نفسه بمجال الطب النبوي والإعجاز العلمي في الحديث، وهو باحث في المركز القومي للبحوث سافر إلى السعودية أيضاً، وهناك انخرط في مجموعة أبحاث كان أهمها بحث عن تمر النخيل، ودوره في علاج السرطان.

أهميه الدكتور عبد الباسط تنبع من كونه كان رئيساً للجنة الدينية في

نادي الصيد، وهو أحد مراكز الدَّعوة الجديدة المهمة، وقد مكنه هذا من أن يكون أستاذًا لعدد كبير من الدَّعاة الذين آمنوا بأفكاره حول الطب النبوي، ونشروها..

الدكتور عبدالمعطي هو صاحب نظريه تقول إن إفرازات العرق تؤدي للشفاء من العمى، وهو يستمد هذه النظرية من قصة سيدنا يعقوب الذي استعاد بصره بعد أن ألقوا على وجهه بقميص ابنه يوسف الذي كان يحتوي على إفرازات العرق..

الدكتور عبدالمعطي له اكتشافات أخرى منها "الريجيم الإسلامي"، وهو مستوحى من النظام الغذائي للرسول (ﷺ)؛ حيث اكتشف الدكتور عبدالمعطي أن هذا النظام الغذائي يحتوي على عدد السُّعرات المناسب تمامًا للجسم.

الإعجاز لمدارة العجز

وَبَعِيدًا عَنِ الْأَمْثَلَةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَعَدِّدَةِ لَخَطَابَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ، وَبَعِيدًا عَنِ مَدَى جَدِيتِهَا أَوْ هَزْلِهَا، يَبْقَى مِنَ الْمَهْمِ أَنْ نَفْهَمَ سِرَّ ذِيَوَعِ فِكْرَةِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ وَازْدَهَارِهَا كُلِّ هَذَا الْازْدَهَارِ أَنْ أَفْضَلَ تَفْسِيرٍ لِهَذَا الذِّيَوَعِ لِلْفِكْرَةِ، هُوَ أَنَّهَا وَسِيلَةٌ رَخِيصَةٌ وَسَهْلَةٌ لِتَحْقِيقِ انْتِصَارِ مَجَانِي عَلَى الْغَرْبِ..

إِذَا إِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ وَالْمُسْلِمَ لَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ لِمَاذَا يَتَفَوَّقُ عَلَيْنَا الْغَرْبُ؟ وَيَقْفُزُ مُبَاشَرَةً لِلسُّؤَالِ "بِمَاذَا يَتَفَوَّقُ عَلَيْنَا الْغَرْبُ؟".

وَفِي حَالَةِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ (لِمَاذَا؟)؛ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ سَتَكُونُ أَنَّ الْغَرْبَ يَتَفَوَّقُ لِأَنَّهُ مَرَّ بِمَرَاكِلِ تَطَوُّرٍ، وَلِأَنَّهُمْ فِي الْغَرْبِ يَعْمَلُونَ وَيَكْدَحُونَ.. إلخ، أَمَّا فِي حَالَةِ السُّؤَالِ الثَّانِي (بِمَاذَا؟)؛ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ تَكُونُ أَنَّ الْغَرْبَ يَتَفَوَّقُ بِالْعِلْمِ.. إِذَنْ مَاذَا لَوْ قُلْنَا إِنَّ الْعِلْمَ وَأَسْرَارَهُ مَوْجُودَانِ لَدَيْنَا مُنْذُ 14 قَرْنًا، بَلْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَصَّنَا بِهَا.. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَنَكُونُ نَحْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْغَرْبِ..

إِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ تَبْدُو مُنَاسِبَةً تَمَامًا لِلْمَجْتَمَعَاتِ النَفْطِيَّةِ الرِّيْعِيَّةِ الَّتِي تَمْلِكُ الثَّرْوَةَ، وَتُظَنُّ أَنَّهَا تَمْلِكُ الدِّينَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَمْلِكَ الْعِلْمَ.. إِنَّ هَذَا

يبدو متسقاً تماماً مع الفكرة التي تقول إن الله سَخَّرَ الغربَ لنا كي نخدمنا..
بينما نَنعم نحن بناتج عمل الغرب.

ختم

نستطيع أن نقول في النهاية إن ظاهرة التدين الجديد لم تعد على الشكل نفسه الذي كانت عليه عند ولادتها في تسعينيات القرن الماضي.. ويرجع ذلك لعدة اعتبارات.. أول هذه الاعتبارات أن الظاهرة وُلدت كمحاولة لتجسير الفجوة بين النخبة الحاكمة في مصر والعالم العربي، وبين جماعة "الإخوان المسلمين" من خلال نمط تدين غير راديكالي يخاطب الفئات الاجتماعية الصاعدة اقتصاديًا.. ويضمن النخب الحاكمة إلى أنه لا ينازعها السلطة بقدر ما يهدف إلى تلوينها بلون محافظ.. كانت تلك الفكرة مُستمدّة من النموذج الأمريكي الذي شكّل فيه مبشرو التلفزيون ظهورًا سياسيًا وفكريًا للنخب الحاكمة، ولعبوا أدوارًا مهمة في التحذير من الخطر الشيوعي،

وتجذير الأفكار الرأسمالية وربطها بنمط التدين المحافظ، فضلاً عن لعبهم أدواراً أكثر مباشرة مثل القيام بدور الإرشاد الروحي لبعض الرؤساء الأمريكيين والكثير من رموز النخبة الأمريكية، أو الانضمام لحملة بعض المرشحين مثلما هو حال المبشرة "بولا وايت" التي كانت جزءاً من حملة الرئيس ترامب.

كَانَ ظهور الدعاة الجدد في مصر في التسعينيات تعبيراً عن النفوذ الاجتماعي والسياسي لجماعة "الإخوان المسلمين"، ومحاولة لصبغ النخبة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بصبغة إسلامية محافظة دون مساس بأوضاعها.. وقد لقي المشروع تأييداً من الطرفين (السلطة والجماعة)، كما كان له معارضون من الطرفين أيضاً.

وفيما بعد ثورة 30 يونيو شاعت تفسيرات قريبة من المؤسسة الأمنية تقول بأن الدعاة الجدد كانوا ينفذون خطة باسم "اختراق الصفوة" لحساب جماعة "الإخوان المسلمين"، وكانت تقوم على ضم عناصر من النخبة لعضوية الجماعة، وفيما قبل ذلك لم يعارض الدعاة سوى أصوات ليبرالية ونقدية رأت فيما يقومون به محاولة للأسلمة من أسفل ولصبغ حياة المصريين بالصبغة الدينية.. ورغم حدوث تجاذبات بين بعض هؤلاء الدعاة وبين جهات الإدارة الآن أن جسور التواصل؛ كانت مفتوحة وجولات التفاهم تكاد

تتعادل مع مرّات الصّدام، وكان هُوَ لاء الدُّعاة جزءاً من السُّلطة الحاكمة بمعناها الاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن وجود أنصار لهم في جهات ومراكز مختلفة في جَسَد الدَّولة المصريّة قبل 30 يونيو.

ونستطيع أن نقول إن الوضع اختلف جذريّاً بعدَ 30 يونيو لاعتبارات مُتعدّدة، أهمُّ هذه الاعتبارات أن الدَّولة اتخذت قرار المواجهة الجذرية مع جماعة "الإخوان المُسلمين" وامتداداتها المختلفة في الدُّعاة الجُدُد.. وقد انعكس هذا على أوضاع هُوَ لاء الدُّعاة ومساحات الحركة الممنوحة لهم التي قلّت بالمقارنة بما كان عليه الوضع قبل ثورة يناير 2011م؛ حيث كان متاح لهم الحركة كجزء من النخب الحاكمة وليس كمكون من خارجها.

من الاعتبارات الأخرى أيضاً زيادة مساحة الوعي النقدي لدى المصريين، وانتفاء صفة القداسة التي كان يتمتع بها من يتحدّثون باسم الدين، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي وما تتيحه للمواطنين من مساحات للنقد والتعليق على تصرفات وآراء هُوَ لاء الدُّعاة.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن دُخول المُجتمَع المصري في مواجهة مع جماعة الإخوان، ولجوء عدد من كوادِر الجماعة إلى تشكيل التنظيمات الإرهابيّة شكّل لحظة مفارقة، تختلف جذريّاً عن لحظة معاكسة هي صعود الدُّعاة الجُدُد مع مبادرة وقف العنف

التي أعلنتها الجماعة الإسلامية، وكأن العلاقة عكسية بين الظاهرتين.

يمكن القول أيضًا إنه رُغم تراجع تأثير هؤلاء الدعاة في المجال العام، وتراجع مساحات تقديسهم، أو الانبهار بهم، ورُغم تراجع المكاسب المعنوية والمادية التي كانوا يحققونها في سنوات ما قبل يونيو 2013م؛ فإنه لا يزال لهم وجود مؤثر في السوق الدينية.. ويرجع هذا بالأساس إلى حالة الفراغ الثقافي والروحي التي تعيش فيها الطبقات الوسطى المصرية، فضلًا عن طبيعة المصريين التي تضع الدين في مكانة معنوية سامية، فضلًا عن عدم وجود محاولات جادة لتجديد الفكر الديني أو إصلاح الخطاب الديني.

وإذا انتقلنا للمستوى العالمي، أو للأصل الذي تم اقتباس ظاهرة الدعاة الجدد منه فسنجد أن ظاهرة "مبشري الهواء" في الولايات المتحدة الأمريكية اتجهت هي أيضًا للتراجع خلال السنوات السبع الأخيرة بعد أن وقع العديد من نجومها في هوة ارتكاب تجاوزات مالية وأخلاقية انتهت ببعضهم للمحاكمة بتهمة النصب، وأدت إلى توسع الصحافة الأمريكية في نشر التقارير عن الانتهاكات الأخلاقية لهذا النوع من رجال الدين.

نستطيع أن نقول إن ظاهرة الدعاة الجدد بالشكل الذي عرفها به المصريون في تسعينيات القرن الماضي قد انتهت، وإن كان هذا لا يعني أنها تعيد إنتاج

نَفْسِهَا فِي انتِظَارِ انْتِهَاءِ الظَّرْفِ الضَّاعِطِ الَّذِي يَمْنَعُهَا مِنَ التَّمَدُّدِ، وَلَا يَبْدُو
حَتَّى الْآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُمُودَ جَا بَدِيلًا يَصْلُحُ لِمَلْءِ الْفَرَاغِ، وَلَعَلَّ هَذَا يَقُودُنَا
لِحَدِيثٍ وَاسِعٍ عَنْ تَجْدِيدِ الْفِكْرِ الدِّينِيِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(تم)

